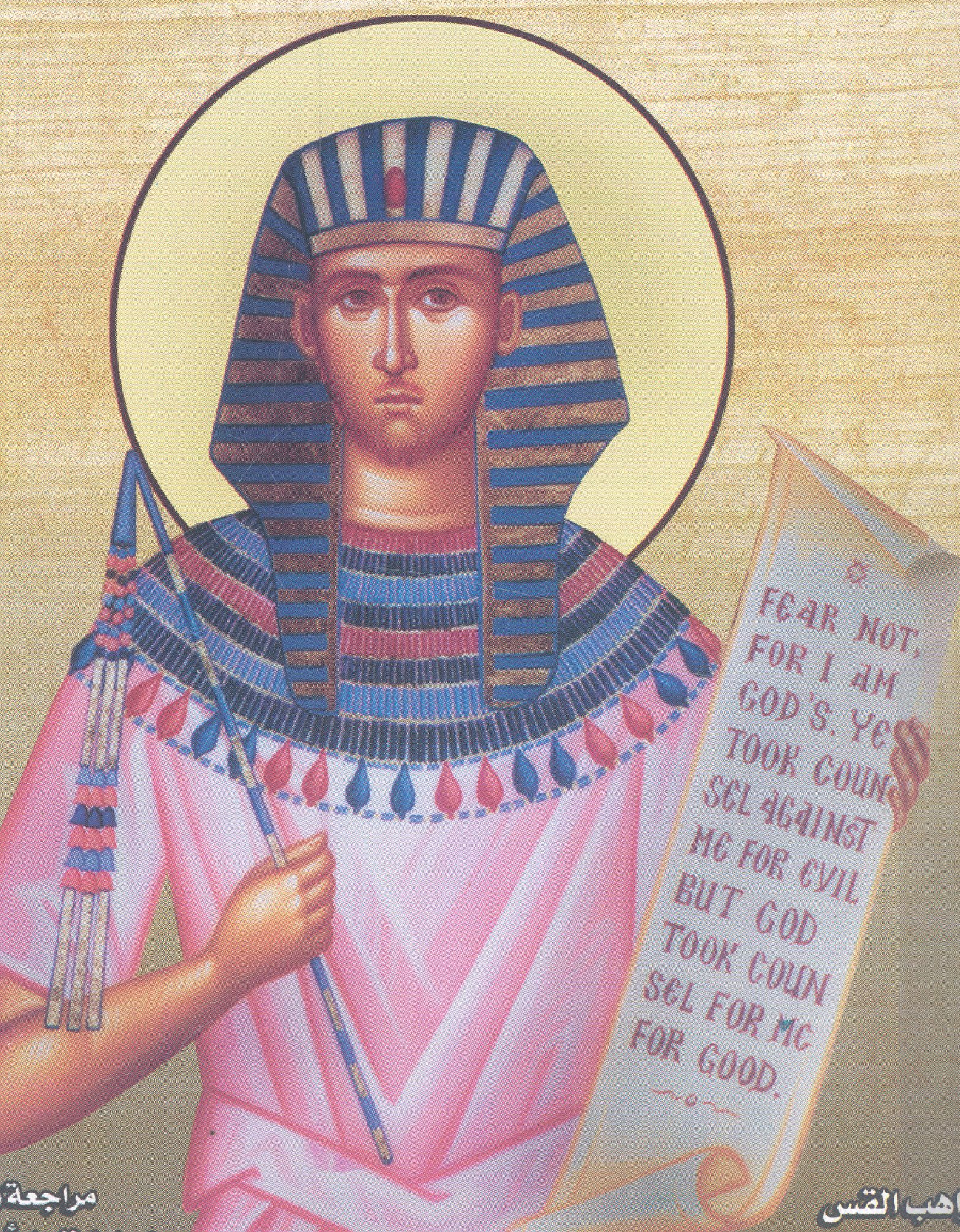
الوزير الفرعونى الذى لا يعرفه الكثيرون

يوسف الصديق



مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

للراهب القس
طوبيا السريانى



بسم الآب والابن والروح القدس

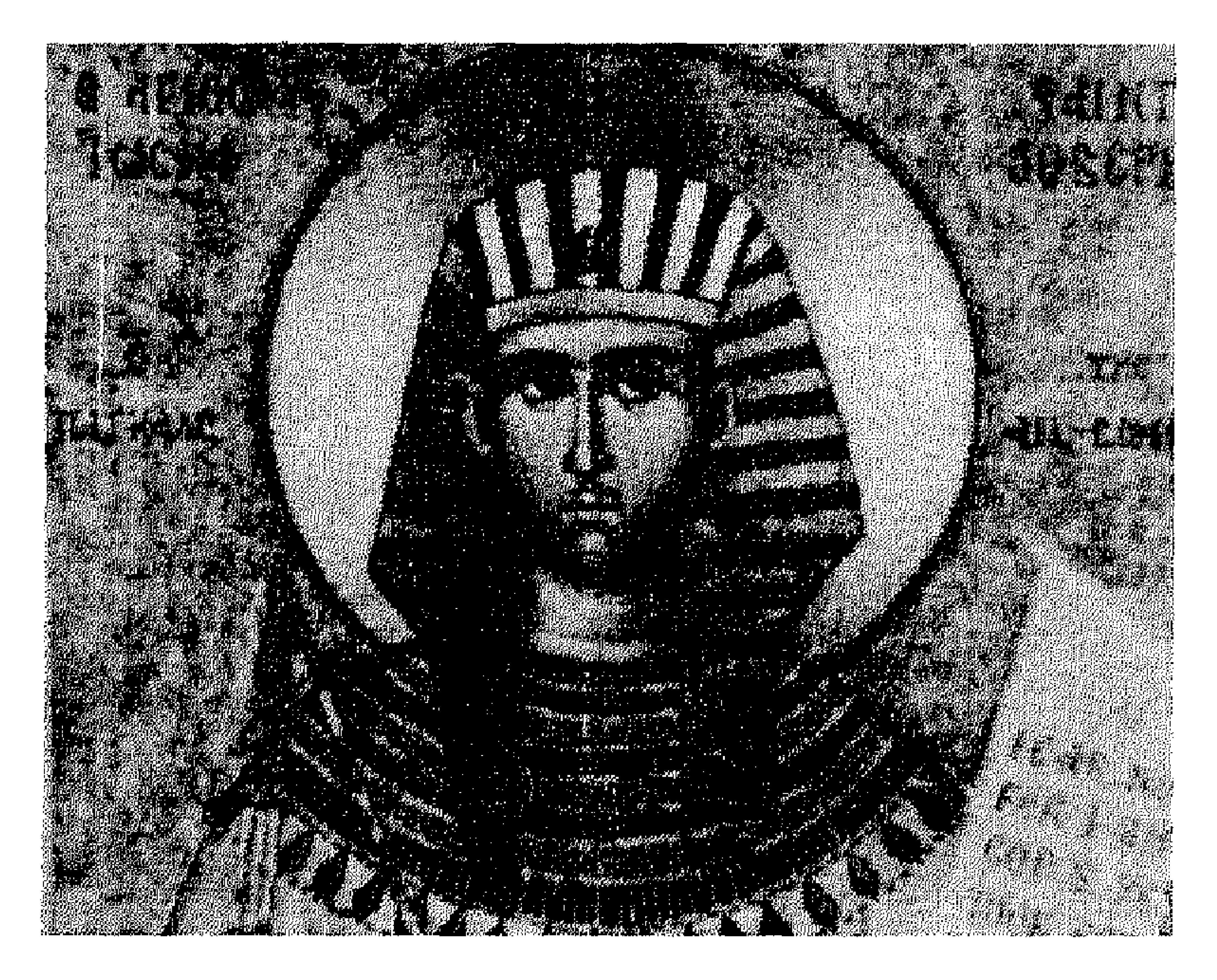
الإله الواحد

آمين

" وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً "

" كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ أمام الله "

(تك ٣٩ - ١٠)



{الوزير الفرعونى الذى لا يعرفه الكثيرون}

يوسف الصديق

اسـم الكتـاب : يوسف الصديق

المؤلـف : الراهب القس طوبيا السريانى

مراجعة وتقديم : نيافة الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان

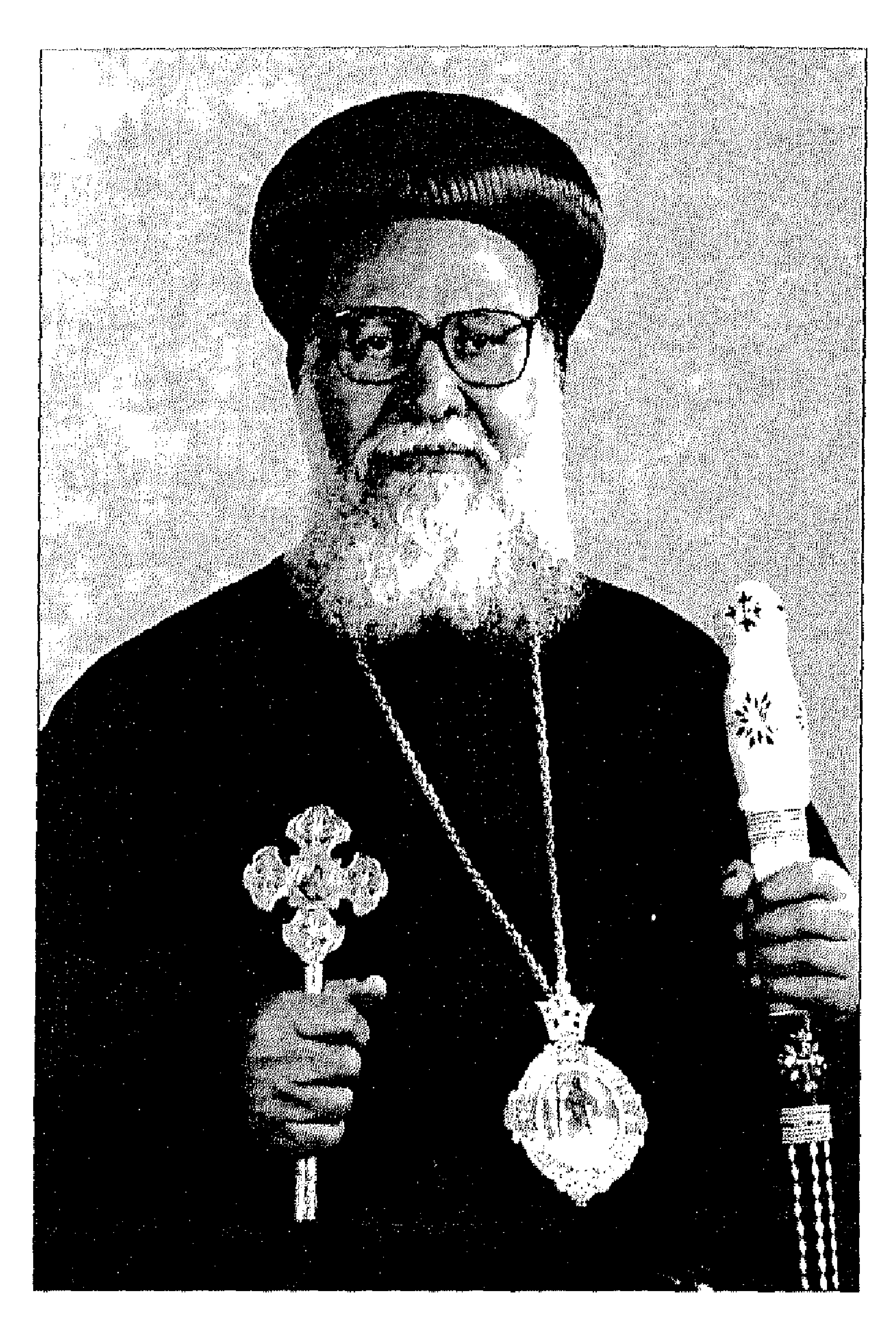
الناشـر : مكتبة مارجرجس
١٧ ش شيكولانى - شبرا
ت : ٢٢٠٢٣٢٤٣

المطبعـة : دار نوبار للطباعة

رقم الإيداع : ١٦٧٣٨ / ٢٠٠٨

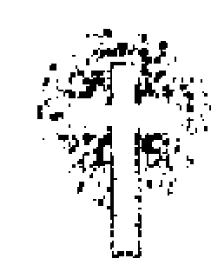


قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان) العامر



باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقديم

يوسف: اسم عبرى معناه " يزيد " وهو ابن يعقوب أب الأسباط من زوجته المحبوبة راحيل التى عندما ولدته قالت: "يزيدنى الرب ابناً آخر" (تك ٣٠ : ٢٤) وفعلاً سمع الله طلبتها وولدت ابنها الآخر بنيامين قبل وصولها إلى أفراته التى هى بيت لحم، ولكنها ماتت بعد ولادته (تك ٣٥ : ١٦-٢٠).

شغلت أحداث يوسف جزءاً كبيراً من سفر التكوين (٣٧-٥٠) كان محبوباً مدللاً من والديه وله بعض الأحلام التى أثارت غيرة إخوته فباعوه لبعض التجار الذين باعوه بدورهم إلى فوطيفار أحد وزراء ملك مصر، وبعد معاناة قاسية فى بيت فوطيفار وفى السجن وصل لرتبة الرجل الثانى فى مصر وأنقذ مصر والمنطقة المحيطة بها من مجاعة رهيبة إستمرت سبع سنين. تزوج من أسنات ابنة كبير الكهنة وأنجب منها منسى وأفرايم. عاش يوسف ناجحاً بفضل رعاية الله له لأنه هو كان يحب الله ويتكل عليه ويعمل وصاياه، وقد قيل عنه: " كان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً .. وكل ما كان يصنع كان الرب ينجحه بيده " (تك ٣٩ : ٢) نجح فى بيت فوطيفار ونجح فى السجن ونجح فى بيت فرعون.

كان يوسف مثالاً للشاب الطاهر ومازالت صرخته المدوية أمام جبروت زوجة فوطيفار وهروبه العظيم من أمامها وهو يقول: "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله" (تك ٣٩ : ٩) مازالت هذه الصرخة تدوى فى أذنى أى شاب يتعرض لمثل هذه التجربة الصعبة.

كان يوسف من الرموز البارزة للسيد المسيح فى العهد القديم فتوجد العشرات من أوجه الشبه بينه وبين السيد المسيح له المجد. لذلك هو شخصية فذة لها ثقلها فى الكتاب المقدس.

بذل الأب الموقر الراهب القس طوبيا السريانى جهداً مشكوراً فى هذا الكتاب عن يوسف الصديق وذكر الكثير من التأملات عن هذه الشخصية العظيمة.

نشكره على هذا المجهود ونرجو لهذا الكتاب الإنتشار ليكون سبب بركة لكل من يقرأه ليستفيد منه.

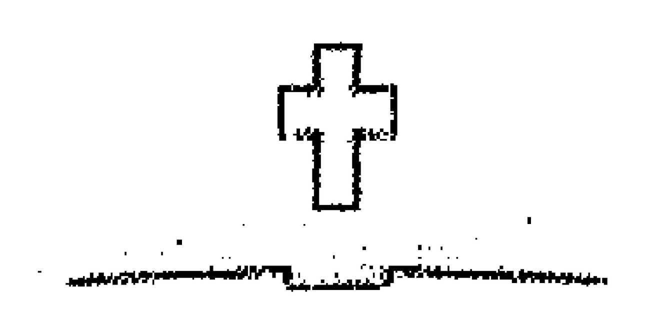
بشفاعة أمنا العذراء الطاهرة القديسة مريم وصلوات يوسف الصديق وصلوات أبينا المكرم البابا الأنبا شنودة الثالث.

الرب يبارك كل عمل لمجد اسمه القدوس آمين.

الأنبا متاؤس

أسقف دير السريان العامر

١٢ يوليه ٢٠٠٧ } عيد الآباء الرسل الأطهار
٥ أبيب ١٧٢٣



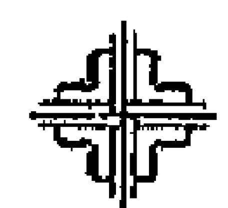
المقدمــة

هناك شخصيات فى الكتاب المقدس لم تأخذ حقها من البحث والفحص. من هذه الشخصيات شخصية البحث هذا وهى من أعظم شخصيات الكتاب المقدس "يوسف الصديق".

هذا الرجل الذى غير التاريخ وبالحق ممكن أن نسميه "مُغير التاريخ" ، رجل بدأ حياته من طفل صغير مدلل إلى أن ذاق من العبودية بعد أن بيع من إخوته فى أشهر عملية رق فى التاريخ أن يُباع الإنسان من إخوته أقرب الناس إليه إلى بيت رئيس الشرط إلى التهمة الشهيرة ثم إلى السجن ظلماً ثم إلى الرئاسة فى نقلة عجيبة إلى أعظم عمل ممكن أن يسند لإنسان إلى حفظ العالم من مشكلة عظيمة كادت أن تقضى عليه . أى العالم . إلى مقابلة الإخوة مرة أخرى فى مصادفة عجيبة إلى دخول بنى إسرائيل إلى أرض مصر إلى بنوة يوسف بافتقاد الشعب من قبل الله.

عزيزى القارئ سوف أترك لك هذا البحث البسيط متمنياً لك وقتاً سعيداً مع صفنات فعنيح أى يوسف الصديق.

ولإلهنا دائماً كل المجد ...



يوسف الصديق

(وسكن يعقوب فى أرض غربة أبيه فى أرض كنعان، هذه مواليد يعقوب يوسف إذ كان ابن سبع عشرة سنة كان يرعى مع إخوته الغنم وهو غلام عند بنى بلهة وبنى زلفة امرأتى أبيه، وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم، أما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته فصنع له قميصاً ملوناً فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع إخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام) تك ٣٧ (١ - ٤).

شاب صغير محاط بالرفاهية، رفاهية اجتماعية، محاط بالأب الكبير والإخوة الشداد، محاط أيضاً بالهدايا المميزة.



وإذ كان يوسف ابن سبعة عشر سنة وكان هذا الصبى الصغير يرعى الغنم ليساعد إخوته وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة أمام أبيهم ربما كانوا يتضاحكون على أبيهم أو على كبّر سنه أو ما شابه ذلك من مداعبات الشباب المشهورة أحياناً.

ولأن يوسف كان ابن شيخوخته وابن راحيل المحبوبة صنع له يعقوب قميصاً ملوناً (وفى بعض

الترجمات قميصاً بأكمام) ولكن الإخوة المفترض إنهم كبار ومتـزوجين أيـضاً غارو من الأخ الصغير لأن يعقوب ميزه عنهم، وهنا حـدث أول شـرخ فى الأسرة الكبيرة بقيادة يعقوب أبو الأسباط ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام.

❊❊❊

(وحلم يوسف حلماً وأخبر إخوته فازدادوا أيضاً بغضاً له فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذى حلمت. فها نحن حازمون حزماً فى الحقل وإذ حزمتى قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتى فقال له إخوته ألعلك تملك علينا ملكاً أم تتسلط علينا وازدادوا أيضاً بغضاً له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه ثم حلم أيضاً حلماً آخر وقصه على إخوته فقال إنى قد حلمت حلماً آخر وقصه على إخوته فقال إنى قد حلمت حلماً أيضاً وإذ الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لى وقصه على أبيه وعلى إخوته فانتهره أبوه وقال ما هذا الحلم الذى حلمت هل نأتى أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض فحسده إخوته وأما أبوه فحفظ الأمر).

تك ٣٧ (٥ – ١١)

هنا بدأت الأحلام تراود هذا الصغير الذى كان لا يدرى أنها خطـة الله لحياته. حلم يوسف الصديق حلماً غريباً وعجيباً... حلم أنهم حازمون حزماً فى الحقل وإذ حزمته قامت وانتصبت وأحاطت حزمهم لحزمته وسجدت لهـا.

فسخطوا عليه ثم حلم حلماً آخر إذ الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة له فانتهره أبوه على ذلك الحلم فحسده إخوته أما أبوه فحفظ الأمر.

❈❈❈

(ومضى إخوته ليرعوا غنم أبيهم عند شكيم فقال إسرائيل ليوسف أليس إخوتك يرعون عند شكيم تعال فأرسلك إليهم فقال له هأنذا فقال له اذهب وأنظر سلامة إخوتك وسلامة الغنم ورد لى خبراً فأرسله من وطأة حبرون فأتى إلى شكيم فوجده رجل وإذا هو ضال فى الحقل فسأله الرجل قائلاً ماذا تطلب فقال أنا طالب إخوتى أخبرنى أين يرعون فقال الرجل قد ارتحلوا من هنا لأنى سمعتهم يقولون لنذهب إلى دوثان فذهب يوسف وراء إخوته فوجدهم فى دوثان).

تك ٣٧ (١٣ - ١٧)



مضى يوسف فى بساطة قلب ليبحث عن إخوته فى حب بعد ما أرسله أبوه ليرد خبر سلامة إخوته والغنم ولكنه لم يجدهم وضل فى الحقل فسأل عن إخوته فقيل له ارتحلوا من هنا وسمعتهم يقولون لنذهب إلى دوثان فذهب يوسف فوجدهم فى دوثان.

(فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه فقال بعضهم لبعض هوذا هذا صاحب الأحلام قادم فالآن هلم نقتله ونطرحه فى إحدى الآبار ونقول وحش ردئ أكله فنرى ماذا تكون أحلامه. فسمع رأوبين وأنقذه من أيديهم وقال لا نقتله وقال لهم رأوبين لا تسفكوا دماً. اطرحوه فى هذه البئر التى فى البرية ولا تمدوا إليه يداً لكى ينقذه من أيديهم ليرده إلى أبيه، فكان لما جاء يوسف إلى إخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملون الذى عليه وأخذوه وطرحوه فى البئر وأما البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء).

تك ٣٧ (١٨ - ٢٤)

ما أصعب التفكير فى الخيانة ما أقسى أن يحتال الإخوة ضد أخيهم.

فقالوا : "هوذا هذا" ، كلمة : "هذا" تدل على أنه نكرة فى نظرهم.

المهم قرروا الإخوة أن يقتلوا الأخ الصغير لمجرد الغيرة منه، فقط سمع رأوبين وأنقذه من أيديهم وقال : "لا نقتله" فكان لما جاء يوسف أنهم خلعوا عنه ذلك القميص الذى أثار حقدهم وطرحوه فى البئر أما البئر فكانت أحسن من إخوته لأنها كانت فارغة.

عزيزى القارئ ...

الأبطال الأساسيين فى هذه القصة الغريبة كانت مكونة من: "الأب يعقوب - الإخوة الكبار - ضحية القصة يوسف الصديق" .

الأب الكبير يعقوب كان يجنى فى هذه الأثناء بمرارة دفع فيها ديون حياته السابقة وجاء دور أن يدفع فى ابنه يوسف وفى أبنائه الكبار الذى من المفروض

أن يكونوا سند فى حياته، كانوا سوطاً كبيراً فى ظهره، بأكاذيب سوط يتألف من إثنى عشر حبلاً مختلف فى الطول والغلاظة والشدة والعنف، ولكن الكذب أحياناً يكون أشد من أصناف كثيرة من العذاب، كانت حياة يوسف كلها ألم فالمزمور قال: "جازت فى الحديد نفسه إذ فى القيد يده".

مز ٩٠ (١ – ٣)

❈❈❈

(ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلساناً ولاذناً ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر فقال يهوذا لإخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفى دمه تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا فسمع له إخوته واجتاز رجال مديانيون تجار فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة فأتوا بيوسف إلى مصر ورجع رأوبين إلى البئر وإذا يوسف ليس فى البئر فمزق ثيابه ثم رجع إلى إخوته وقال الولد ليس موجوداً وأنا إلى أين أذهب).

تك ٣٧ (٢٥ – ٣٠)

لا أدرى كيف كانوا يأكلون وأخوهم مطروح فى البئر، لاشك أن مشاعرهم كانت متبلدة وأيضاً ماتت ضمائرهم والموضوع انتهى من ضمائرهم.

ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين آتية إليهم حاملة بعض البضائع التى تشتهر بها أرض جلعاد فقال يهوذا لإخوته: "ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفى دمه نبيعه

للأسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا"... أخيراً تذكروا أنه أخـوهم، كنت أظنهم قد نسوا أنه أخيهم فكروا أن يستفيدوا منه بالرغم من إبعاده عن طريقهم ليقبضوا ثمنه الذى قدر بعشرين من الفضة باعوه أخيراً للإسماعيليين بكل دم بارد.



❖❖❖

(فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعزى وغمسوا القميص فى الدم وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم وقالوا وجدنا هذا حقق أقميص ابنك هو أم لا فتحققه وقال قميص ابنى، وحش ردئ أكله افترس يوسف افتراساً، فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال إنى أنزل إلى ابنى نائحاً إلى الهاوية وبكى عليه أبوه، أما المديانيون

فباعوه فى مصر لفوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط) .
تك ٣٧ (٣١ – ٣٦)

قبل أن أستطرد الحديث عن هذا القميص الشهير أريد أن أكلمكم عن شخصية يوسف الصغير الذى بيع ، أريد أن أتجول بين عيون الإخوة لأتبين مشاعرهم التى لم يجد يوسف طريقاً لها ، ألم تجد صرخات الصغير طريقاً إلى قلبهم وهو يتوسل إليهم بدموع طفل صغير؟، كم كانت قلوبهم حجرية وجباههم صخرية، ولماذا كل هذا من مجرد حلم لصبى صغير.

الكتاب قال: "لم يستطيعوا أن يكلموه بسلام" لماذا هذا الجفاء من الإخوة؟!...أيمكن أن يكون فارق السن الشديد بينهم؟! يمكن أن يكون فارق إيجابي للحنان وليس فارق سلبي للعنف... على العموم هؤلاء هم أبناء يعقوب ومعاملاتهم لأخيهم الصغير.

الموضوع أمانة فى أيديهم من جهة أبيهم الكبير يعقوب، فهل خانوا أمانة أبيهم؟ نعم.. خانوا الأمانة.. خانوا رابطة اللحم والدم... فياليتهم لم يكن لهم أخ صغير صاحب رسالة مثل يوسف.

أصعب المشاعر هى خيانة الأحباء لاسيما الإخوة ولا سيما أخ صغير معتمداً على إخوته الذى كان من المفروض أن يكونوا يحبونه.

(بيع يوسف عبداً آذوا بالقيد رجليه فى الحديد دخلت نفسه) مز ١٠٥ – ١٧

سوف يشهد التاريخ على هذه العملية، أقصر عملية بيع، من شدة غرابتها لأنها جمعت بيد الإخوة ضيوف البطن الواحدة، لم يشهد التاريخ خيانة مثل هذه سوى خيانة رب المجد من يهوذا. تلك الخيانة الشهيرة، صبى صغير السن لا

يملك شئ سوى عينين ينظران هذا المشهد الغريب وقلب يدمى دماً من عنف إخوته.

والغريب أيها القارئ أن يوسف الصديق بطل هذا المشهد الغريب صاحب النفسية القوية الشديدة البأس لم يتكلم!!.. كان يستطيع أن يقول للإسماعيليين أنه أخوهم وأن أبيه صاحب نفوذ كبير وسوف يعطيهم الكثير من المال لو أرجعوه إليه.. ولكنه لم يتكلم!! ظل يسمع صوت الله داخله وصوت الله يتكلم داخله برسالة كبيرة للبشرية لم يفهمها صاحب السن الصغيرة ولكنه سلم حياته كلها لله.

وسيق يوسف كعبد، ذهب يوسف.. إلى أين؟! اركبوا يوسف الجمال الذاهبة إلى مصر وعن بعد بعيد تنتظره وتنظره حضارة فرعونية عريقة كانت ومازالت شمس حضارات العالم، تنتظره مصر الفرعونية بعين الترقب قائلة فى داخلها كيف يتعامل معى ومع مشاكلى ومع حضاراتى هذا الصبى الصغير!!

ولا تعلم أرض مصر أن داخل الصبى الصغير روح الله القادرة على حل أصعب الأمور وأعقدها.

ودخل يوسف الصغير أرض مصر والله ممسكاً بيديه الصغيرة..

عجيبة هى خطة الله للإنسان ورجع الإخوة بكذبة كبيرة سيدفعون ثمنها فيما بعد، أخذوا تيس معزى من القطيع وغمسوا القميص فى الدم وقالوا لأبيهم: "حقق أقميص ابنك هو أم لا ؟!".. (تك ٣٧-٣٢).

غريب جداً هذا التحايل على الأب الكبير والذى وثق بأبنائه وحزن يعقوب على ابنه يوسف أشد حزن ممكن أن يحزنه أب على ابنه، ورفض أبو



الأسباط أن يتعزى عن ابنه يوسف وقال: "إني أنزل إلى ابني نائحا إلى الهاوية وبكى عليه أبوه". (تك ٣٧-٣٥).

وختم الأصحاح هذه الجملة والتي سوف تغير أشياء كثيرة ومصيرية: "وأما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط" (تك ٣٧-٣٦) أي وزير العسكر أو رئيس الحرس أو وزير الداخلية بمفهومنا الحالي..

وأما الأصحاح الثاني أي الأصحاح الثامن والثلاثون فيحدثنا عن شئ مختلف كل الاختلاف وعجيب جداً وخارج عن موضوعنا هذا جملة وتفصيلياً.

❊❊❊

(وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته ومال إلى رجل عدلامي اسمه حيرة. ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شوع. فأخذها ودخل عليها فحبلت وولدت ابناً ودعا اسمه عيرا، ثم حبلت أيضاً وولدت ابناً ودعت اسمه أونان ثم عادت فولدت أيضاً ابناً

ودعت اسمه شيلة وكان في كذيب حين ولدته وأخذ يهوذا زوجة لعير بكره اسمها ثامار وكان عير بكر يهوذا شريراً في عيني الرب فأماته الرب فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتزوج لها وأقم نسلاً لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه فقبح في عيني الرب ما فعله فأماته أيضاً. فقال يهوذا لثامار كنته أقعدي أرملة في بيت أبيك متى يكبر شيلة ابني لأنه قال لعله يموت هو أيضاً كأخويه فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا ثم تعزى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى تمنة هو وحيرة صاحبه العدلامي فأخبرت ثامار وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه، فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها فمال أليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليك لأنه لم يعلم أنها كنته فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل علي فقال أني أرسل جدي معزي من الغنم، فقالت هل تعطني رهناً متى ترسله، فقال ما الرهن الذي أعطيك فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه ثم قامت ومضت وخلعت عنها

برقعها ولبست ثياب ترملها فأرسل يهوذا جدى المعزى بيد صاحبه العدلامى ليأخذ الرهن من يد المرأة فلم تجدها فسأل أهل مكانها قائلاً أين الزانية التى كانت فى عينايم على الطريق فقالوا لم تكن ههنا زانية فقال يهوذا لتأخذ لنفسها لئلا نصير إهانة - أنى قد أرسلت هذا الجدى وأنت لم تجدها . ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك ، وها هى حبلى أيضاً من الزنا فقال يهوذا أخرجوها فتحرق أما هى فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة من الرجل الذى هذه له أنا حبلى وقالت حقق حقق الخاتم والعصابة والعصا هذه فتحققها يهوذا وقال هى أبر منى لأنى لم أعطها لشيلة ابنى فلم يعد يعرفها أيضاً وفى وقت ولادتها إذا فى بطنها توأمان وكان فى ولادتها إن أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزاً قائلة هذا خرج أولاً ولكن حين رد يده إذا أخوه قد خرج فقالت لماذا إقتحمت عليك إقتحام فدعى إسمه فارص وبعد ذلك خرج أخوه الذى على يده القرمز فدعى إسمه زارح) .
تك ٣٨ (١ - ٣٠)

أنظروا كيف كانت حياة يهوذا فى الوقت الذى كان فيه يوسف يقاسى من الالام النفسية الشديدة ومن الام الإخوة.

وسبب وجود هذه القصة عن يهوذا أن الكتاب المقدس أراد أن يبرز ويوضح كيف كان الكبير فى هذه الأثناء، والصغير قد بيع كأن شئ لم يحدث.

ثم ينتهى هذا الإصحاح ويدخل بنا كتابنا المقدس مرة أخرى وفجـــأة إلى نزول يوسف إلى مصر موضع أول قدم له فى أرض مصر .. عجيبة جداً هـــذه المفارقة وعجيب جداً هذا الكتاب المقدس!!

❖❖❖

(وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط رجل مصرى من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً وكان فى بيت سيده المصرى ، ورأى سيده أن الرب معه وإن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده فوجد يوسف نعمة فى عينه وخدمه فوكله على بيته وعلى كل ما كان له أن الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف وكانت بركة الرب على كل ما كان له فى البيت وفى الحقل فترك كل ما كان له فى يد يوسف ولم يكن معه يعرف شيئاً إلا الخبز الذى يأكل وكان يوسف حسن الصورة وحسن المنظر) .

تك ٣٩ (١-٦)

هناك قصة غارقة فى الخيال بمعنى غير حقيقية عن أول ليلة يقضيها يوسف الصديق خارج بيته وخارج أبيه، قصة من أجمل القصص كتبها الأستاذ / هيل فى كتابه: (عيد الميلاد فى قصر)، وقد كتب هذه القصة تحت عنوان: (الأيدى المرفوعة) وهى عن الليلة الأولى فى حياة يوسف بعد أن باعه إخوته وأخذته قافلة ثم حل الظلام فتوقفت القافلة ونام الجميع فقام يوسف وهب أن يهرب من باب الخيمة فنبح عليه كلب كبير فصلى يوسف ليهبه الله معونة فى إسكات الكلب فنزل ملاك من السماء ليقتل الكلب فمنعه الله وإستيقظ الحارس ليضرب يوسف ويقيده ويمنعه من الهروب وإذ عجباً الملاك من المنع الإلهى صور له الله ما كان يمكن لو تمكن يوسف من الهرب وعاد إلى بيته حيث يستقبله أبوه، بترنم وفرح غير أن المجاعة لا تلبث أن تحل وليس هناك يوسف الذى يتأهب لمواجهتها، وإذ بمصر وفلسطين تجوعان ويموت خلق كثير ويضعف الباقون ويتعرضون لهجمات الحيثيين وإذ بالحضارة تُدمر ومصر تنتهى وتتحول روما واليونان إلى البربرية الكاملة ويهلك العالم كله ولا نسمع عن إسرائيل ويهوذا والملوك والأنبياء وبالتالى لا يأتى المسيح مخلص العالم.

ولا شك أن القصة السابقة غارقة فى الخيال ولكنها تؤكد الحقيقة الدائمة أن كل الأشياء تعمل معاً للخير وأن حياة الإنسان بمرها وحلوها هى حسب مشيئة الله وقصده...

فوطيفار هو رئيس الشرط، وقد إشترى يوسف وخدم هذا الضيف، والعجيب أن الكتاب يقول: "بارك الله بيت المصرى بسبب يوسف وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً وأن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده" فوجد يوسف نعمة

فى عينه وخدمه.

تخيلوا أن فوطيفار لا يعلم شئ فى بيته سوى الخبز الذى يأكل بمعـــنى أن يوسف كان فى يده كل شئ. وكان يوسف حسن الصورة وحـــسن المنظـــر. وهذه الجملة سوف تنقلنا إلى أصعب نقطة أو محطة فى حياة يوسف الـــصديق، وظل يوسف يعمل فى صمت، وصمت رهيب سوف نتكلم عن هذه التجربـــة الشديدة والعنيفة وكأن العالم يتأهب إلى تلك الصرخة المدوية القائلة *(كيـــف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله)*.

❋❋❋

(وحدث بعد هذه الأمور أن إمرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت أضطجع معى فأبى وقال لإمرأة سيده هوذا سيدى لا يعرف معى ما فى البيت وكل ماله قد دفعه إلى يدى ليس هو فى هذا البيت أعظم منى ولم يمسك عنى شيئاً غيرك لأنك إمرأته فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله وكان إذ كلمت يوسف يوماً فيوماً أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل إلى البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك فى البيت فأمسكته بثوبه قائلة إضطجع معى فترك ثوبه فى يدها وهرب وخرج إلى خارج وكان لما رأت أنه ترك ثوبه فى يدها وهرب إلى خارج ألها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة أنظروا قد جاء إلينا برجل عبرانى ليداعبنا دخل إلى

ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم وكان لما سمع أنى رفعت وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب وخرج إلى خارج فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلى العبد العبرانى الذى جئت به إلينا ليداعبنى وكان لما رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب إلى خارج).

تك ٣٩ ، (٧ – ١٨)

كيف عرفت يا يوسف أن الزنا خطية ولم يولد بعد موسى مستلم الشريعة القائلة لا تزن ؟! عرف يوسف ذلك بقلب الإيمان .. بالذى يغضب الله والذى لا يغضب الله وذلك من صوت الله وروح الله الساكن فيه ..

زوجة فوطيفار :

لست أعلم لماذا أطلت علينا هذه القصة مبكراً على صفحات التاريخ، ولماذا حرص الوحى الإلهى على أن يوردها على هذه الصورة على المسرح رغم ما فيها من دقة وقسوة وحساسية، وهل يرجع الأمر إلى أن قضية الجنس هى واحدة من أهم القضايا وأعمقها بين بنى الإنسان إلى الدرجة التى جعلت عالم النفس فرويد يرد كل شئ فى حياة البشر إليها كما ذكر كُتاب التاريخ والقصاصين والمثالين والمصورين على شئ مسارح الدنيا يكادون فى كل مكان وزمان يمرون الأصبع جميعاً ويشيرون إلى المثل الشائع المعروف فتش عن المرأة..

على أن القصة من الجانب الآخر تعرض كيف يكسب البشر المعركة، ولكنه مع ذلك يخسر الحرب كما حدث مع الشاب القديم الذى خرج من

السجن لا يستمتع بحريته فحسب بل ليعوض عما ناله من حين وظلم على الصورة التى أوضعت مع الزمن مثلاً وعبرة لكل من يريد أن يتعظ ويتعلم!

ولعل تجربة هذه المرأة القديمة قد إشترك فيها ثلاثة يدرون أو لايدرون وهم: (يوسف وفوطيفار والمرأة نفسها) ولعل التجربة بدأت من اللحظة التى دخل فيها يوسف هذا البيت إذ كان كما نعلم على أروع الصور والحسن والبهاء والجمال كفترة فى أول خطى الشباب فى السابعة عشر حلو الحياة، خفيف الظل ، سريع الحركة ، جميل اللفظ ، مدبر مفكر ، عاملاً وديعاً متواضعاً وكان طوال عشر سنوات قضاها فى بيت فوطيفار أشبه بالقمر الجميل وهو يزداد تألقاً ونوراً وهو يتحول من الهلال إلى البدر وغير خاف أن المرأة وهى ترقب هذا الجمال كانت تضعف يوماً وراء يوماً عن مقاومة ما فيه من قوة رهيبة وسحر غلاب على أن الثانى الذى شارك فى التجربة كان فوطيفار نفسه وأغلب الظن أنه قد وثق فى يوسف ووجد فيه الوكيل الصالح فى الحقل والبيت معاً إنصرف إلى عمله فى بيت فرعون وإستغرقه ذلك العمل حتى لم يجد متسعاً من الوقت فى بيته إلا ليأكل ويشرب وينام، وهكذا إنصرف عن زوجته والإهتمام ببيته، وهكذا ترك زوجته وعقلها مرتعاً للشيطان وحيله محاولاً إسقاط الشاب العفيف يوسف.

عزيزى القارئ.. لاشك إنها كانت من أسرة فرعونية عريقة بدليل إختيار فوطيفار لها كزوجة ولكن الإهمال والفراغ والشيطان كفيل بخلق شخصية غير شخصية الإنسان الحقيقية، وفعلاً أرادت هنا زوجة فوطيفار الإيقاع بيوسف العفيف معها فى الخطية، والغريب أن الكتاب المقدس أغفل عن ذكر إسمها

إنكاراً لعملها القبيح، زوجة فوطيفار هيئة المكان والزمان والقصر فارغاً.

العجيب فى الأمر أن الكتاب المقدس يقول عن ذلك "إذ كلمت يوسف يوماً فيوماً إنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها" ومعنى ذلك أن يوسف تم إلحاح الخطية عليه مرات كثيرة لأنه يمكن لأى شاب أن يقاوم الخطية مرة أو مـــرتين على الأكثر ولكن مرة وجود يوسف فى بيت فوطيفار دامت عشر ســـنوات كاملة، وهذه هى مدة عرض الخطية عليه من قبل زوجة فوطيفار. مـــا هـــذه الإرادة الصلبة ؟! كانت كل يوم تزداد مرة تلو الأخرى بنعمة الله التى وجدت طريقاً جيداً فى قلب أخضر جميل تشع من خلاله رائحة الله الذكيـــة، رفـــض يوسف الخطية فبدأت زوجة فوطيفار فى إعداد خطة بديلة ومضادة ليوسف يتم فيها تبديل الأدوار والكراسى فجرت على فمها قائلة: "جاء إلينا بشاب عبرانى ليداعبنا " فأرادات هنا إلصاق التهمة ليس بيوسف فقط بل بزوجهـــا بقولهـــا "جاء إلينا بشاب عبرانى ليداعبنا " وهذا يثبت أنها غاضبة من زوجها فوطيفـــار لإهماله لها، فأسقطت عليه جاء إلينا بشاب عبرانى ليداعبنا بل وأخذت ذلـــك الثوب الشهير ووضعته بجانبها دليل على صدق أقوالها وشرف كلماتها. أظن أن فوطيفار سمعها ولكن قلبه لم يصدقها! ولماذا يصدقها وهو لم يرى منـــه ســـوى الأمانة والإخلاص والجد فى العمل ويعرف داخلة جيداً أن زوجتـــه لعـــوب! ولكن لأجل الخدم والحراس والوظيفة والمكانة الفرعونية العالية كان ولابد أن يرسله إلى السجن. ولكن يتبادر إلى الذهن سؤال أظنه غريب بعض الشئ لماذا لم يقتله ويتخلص منه؟!.. أقول لكم لو قتله لأساء لنفسه لأنه كان قد إزدادت الشكوك وزادت الأقاويل عن الشاب الذى أتى به فوطيفار والـــذى أراد أن

يعتدى على زوجته فقتله، ولكن إذ أرسل إلى السجن فقد يقال إقترف أمـــر أخطى فيه مثل السرقة أو ضرب أحد أصدقائه من الخدم أو الهروب، المهم أى همة لا تسئ إلى فوطيفار ومكانته وهذه حكمة من فوطيفار وإبتداء عمل خطة الله بالنسبة ليوسف، ومن هنا ننتقل إلى مكان لا يروق للناس الحديث عنه وهو السجن، السجن الذى بدء وكأنه نهاية الشاب ولكن هذه هى بداية الفرعون الصغير.

(فكان لما سمع سيده كلام إمرأته الذى كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بى عبدك أن غضبه حمى . فأخذ يوسف سيده ووضعه فى بيت السجن المكان الذى كان أسرى الملك محبوسين فيه وكان هناك فى بيت السجن ولكن الرب كان مع يوسف وبسط إليه لطفاً وجعل نعمة له فى عينى رئيس بيت السجن فدفع رئيس بيت السجن إلى يد يوسف جميع الأسرى الذين فى بيت السجن وكل ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئاً البتة مما فى يده لأن الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه) .

تك ٣٩ (١٩ – ٢٣)

❖❖❖

السجن الذى سجن فيه بطل قصتنا هو سجن مخصص لعبيـــد الــــسلطة الفرعونية وذلك حتى تكون أسرار الفراعنة فى مأمن من المجرمين والقتلة مـــن عامة الشعب وحتى لا يختلط الخدم بالمجرمين والسارقين فينقلون ثقافتــهم إلى

قصور الأمراء من الفراعنة. بالإجمال . دخل يوسف السجن ، دخول يوسف السجن كانت مرحلة إعداد من الله لنقض غبار الطفولة الروحية ولإعداد يوسف لعمل عظيم. قبل كل قيامة ومجد صليب وألم ، صليب السجن عنيف وفيه تعرف على طبقات مختلفة من المجرمين فى حق الفراعنة والأمراء الذين يعتبرون الهة. كل هذه التطورات كان سببها قميص ملون! عجيبة هى خطط الله.

دخول السجن فى قضية يكون فيها الإنسان مظلوم فيها شئ صعب، فدخول السجن نتيجة خطأ وجريمة بالفعل، يكون إحساس الإنسان فيها ليس كما المظلوم، ولكن الله وعد يوسف بالنجاح فى كل شئ حتى فى السجن، يحدثنا سفر التكوين بالنص الكتابى قائلاً: (ولكن الرب كان مع يوسف وبسط إليه لطفاً وجعل نعمة له فى عينى رئيس بيت السجن فدفع رئيس بيت السجن إلى يد يوسف جميع الأسرى الذين فى بيت السجن وكل ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئاً البتة مما فى يده لأن الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه) .
تك ٣٩ (٢١ – ٢٣)

حتى فى السجن دُفع إليه كل شئ كما أيضاً فى بيت فوطيفار فنعمة الله ملازمة له فى كل مكان كما سنرى أيضاً فى مهمته الجسيمة الآتية فيما بعد.

ماذا وجد يوسف فى السجن؟

وجد ظروف صعبة، أمراض وإهمال ونظم متدهورة وإنفلات أمنى نظراً لأن كل المساجين أصحاب نفوذ فى قصور الفراعنة ولكن لأخطاء تم إرسالهم

للسجن.

ثم فى السجن إنتظرته مهمة أخرى وهى فى الحقيقة قديمة وهى الأحلام أى تفسير الأحلام ، صادف يوسف خصى فرعون رئيس الخبازين ورئيس السقاة.

❋❋❋

(وحدث بعد هذه الأمور أن ساقى ملك مصر والخباز أذنبا إلى سيدهما ملك مصر فسخط فرعون على خصييه رئيس السقاة ورئيس الخبازين فوضعهما فى حبس بيت رئيس الشرط فى بيت السجن المكان الذى كان يوسف محبوساً فيه فأقام رئيس الشرط يوسف عندهما فخدمهما وكانا أياماً فى الحبس).

تك ٤٠ (١ – ٤)

❋❋❋

صادف يوسف خصى فرعون رئيس الخبازين ورئيس السقاة، والمتابع للنص الكتابى جيداً يجد ملحوظة غريبة وهى: (فأقام رئيس الشرط عندهما فخدمهما وكان أياماً فى الحبس) ومعنى هذا أن يوسف لم يكن كما يعتقد البعض، كان فى السجن رئيساً على المسجونين، بل الكتاب يقول: "فخدمهما"، على العموم لم تكن الحياة فى السجن حياة سهلة، ومن هنا بدأت خريطة العالم تظهر معالمها وبدأت يد الله تظهر رويداً رويداً..

الإصحاح الأربعون يبدأ بداية غير معتادة، ولماذا يبدأ بالذنب ضد فرعون ملك مصر. يبدأ بالذنب لكى يظهر يوسف بتعابير الله وأقواله. ساقى الملك

وخبازه أذنبا إلى سيدهما ملك مصر، ولكن الكتاب فى خضم هذه التفاصيل الكثيرة أغفل عن ذكر هذا الذنب، ربما يكون تقاعس فى العمل أو حالة تمرد أو عصيان أو على أكثر تقدير أنهما إختلافاً مع بعض كخدم فى القصر معاً فحتى يصيروا عبرة للجميع تم إرسال الإثنين إلى السجن، الظالم والمظلوم، والدليل هو الحلم، حلما الإثنين حلمين..

فى الصباح الباكر دخل إليهم يوسف كعادته وهى إتمام عمله دون تقصير فنظرهما مغتمان فسألهم لماذا وجهاكما مكمدان اليوم فقالا: "حلمنا حُلماً وليس من يعبره" فقال يوسف: (أليست لله التعابير، قُصا علىّ).

تك ٤٠ (٨)

الحلمين

حُلم رئيس السقاة:

(فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف وقال له كنت فى حُلمى وإذا كرمة أمامى وفى الكرمة ثلاثة قضبان وهى إذا أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنباً وكانت كأس فرعون فى يدى فأخذت العنب وعصرته فى كأس فرعون وأعطيت الكأس فى يد فرعون فقال له يوسف هذا تعبيره. الثلاثة القضبان هى ثلاثة أيام. فى ثلاثة أيام أيضاً يرفعُ فرعون رأسك ويردك إلى مقامك، فتعطى كأس فرعون فى يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه وإنما إذا ذكرتنى عندك حينما يصير لك خير تصنع إلى إحساناً وتذكرنى لفرعون وتخرجنى من هذا البيت لأنى قد سُرقت

من أرض العبرانيين وهنا أيضاً لم أفعل شيئاً حتى وضعوني في السجن) .
تك ٤٠ (٩ – ١٥)

حُلم رئيس الخبازين :

(فلما رأى رئيس الخبازين أنه عبر جيداً قال ليوسف كنت أنا ايضاً في حُلمي وإذا ثلثة سلال حُوارى على رأسي وفي السل الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز والطيور تأكله من السل عن رأسي. فأجاب يوسف وقال هذا تعبيره الثلاثة السلال هي ثلثة أيام في ثلثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك. فحدث في اليوم الثالث يوم ميلاد فرعون أنه صنع وليمة لجميع عبيده



ورفع رأس رئيس السقاة ورأس رئيس الخبازين بين عبيده ورد رئيس السقاة إلى سقيه فأعطى الكأس في يد فرعون وأما رئيس الخبازين فعلقه كما عبر لهما يوسف ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف لم نسيه) .
تك ٤٠ (١٦ – ٢٣)

وتفسير الحلم لرئيس السقاة :

بعد سؤال يوسف لماذا وجهاكما مكمدان قصا علي، فبدأ رئيس السقاة يذكر الحلم ليوسف كما ذكر الوحي الإلهي ففسره يوسف أنه بعد ثلاثة أيام يدرك فرعون إلى مقامك. وهنا بدأ يوسف بشرح لرئيس السقاة كيف سرق من أرض كنعان، وهنا أيضاً لم أضع شيئاً، وهنا جاء خطأ يوسف البشرى وهو قوله لرئيس السقاة وإنما إذ ذكرتني عندك حينما يصير لك خير تصنع لي إحساناً وتذكرني لفرعون وتخرجني من هذا البيت، وهذا ضعف بشرى من يوسف وذلك من طبق العبودية والسجن، وأيضاً حتى نأخذ درساً من أبونا الكبير يوسف الصديق لأنه إعتمد على رئيس السقاة. ويرد الكتاب المقدس قائلاً " ولم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه ".



تفسير الحلم لرئيس الخبازين :

شرح يوسف الصديق الحُلم لرئيس الخبازين أنه بعد ثلاثة أيام أيضاً يدفع فرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك.

لماذا يا يوسف هذا التفسير القاسي والعنيف لماذا لم تقلها بطريقة أخف من تلك؟! وأظن بعد هذا التفسير أن رئيس الخبازين قد مات قبل أن يحكم عليه الفرعون فحدث فى اليوم الثالث يوم ميلاد فرعون أنه حكم على رئيس السقاة بالبراءة، أما رئيس الخبازين فعلقه كما عبر يوسف تماماً ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه، وهذه هى نتيجة الإتكال على البشر !!

عزيزى القارئ ..

دائماً ذاكرة البشر تخون ولكن فى هذه الحالة الله هو الذى أنساه والله أيضاً هو الذى يذكره. الله وليس توصية يوسف! حينما يجئ الوقت المناسب ليزعج الله فرعون بحلم غريب.. غريب جداً.. وهذا هو محور حديثنا القادم.

الحلم الكبير للفرعون العظيم

(وحدث من بعد سنتين من الزمان أن فرعون رأى حُلماً وإذا هو واقف عند النهر وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم فارتعت فى روضة. ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم فوقفت بجانب البقرات الأولى على شاطئ النهر. فأكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم البقرات السبع الحسنة المنظر والسمينة. واستيقظ فرعون، ثم نام فحلم ثانية وهوذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحد سمينة وحسنة ثم هوذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة

بالريح الشرقية نابتة وراءها فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة الممتلئة واستيقظ فرعون وإذا هو حلم وكان في الصباح أن نفسه إنزعجت فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها وقص عليهم فرعون حلمه فلم يكن من يعبره لفرعون ثم كلم رئيس السقاة فرعون قائلاً أنا أتذكر اليوم خطاياي فرعون سخط على عبديه فجعلني في حبس بيت رئيس الشرط أنا ورئيس الخبازين فحلمنا حلماً في ليلة واحدة أنا وهو حلمنا كل واحد بحسب تعبير حلمه وكان هناك معنا غلام عبراني عبد لرئيس الشرط فقصصنا عليه فعبر لنا حلمينا عبر لكل واحد بحسب حلمه وكما عبر لنا هكذا حدث ردني أنا إلى مقامي وإما هو فعلقه).

تك ٤١ (١ – ١٣)

الأحلام على أكثر تقدير لا تكون من الله ذلك لأنه يكون فيه تداخل من العقل الباطن – رغبات الإنسان الداخلية – الأحداث المحيطة – تأثر الإنسان من بعض الأحداث – منها السعيدة والمحزنة. فالله قليلاً ما يتكلم، وتاكيداً لذلك قول الكتاب: "وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام. لم تكن رؤيا كثيراً" ١صم٣: ١. ولكن في حلمنا هذا أي حُلم فرعون كان من الله جملة وتفصيلياً وذلك لأن المفسر الجيد موجود، والله مسرع لإعلانه زعيماً كبير ولكن نبحث قليلاً لماذا أراد الله بهذه المجاعة الكبرى؟! ذلك لأن الجوع ملأ كل الأرض؟! هل لأن الله حيا مصر بالخير؟! هل لإمتلاء كأس هذه الأمم الكثيرة؟! ولماذا هذا العقاب الجماعي من الله على الأرض هكذا في وجود يوسف؟! هل

لأن الله يريد إدخال بنى إسرائيل مصر؟!..

سنرى الله حينما يتكلم بأمور مصيرية فإنه يكلم الحكـــام، ذلـــك لأن الله يحب النظام لأنه إله نظام، وقلوب الملوك فى يد الله حينما شاء يميله كما قـــال الجامعة.. فرضاً كان فرعون وثنياً هذا لا يمنع كلام الله حتى وإن كنا غير أمناء فالله أمين إلى الإنقضاء.. فى توصيل رسالته "فى حادثة نينوى، فى حادثة سدوم وعمورة، وفى طوفان الأرض الشهير، فى الجوع أيام إبـــراهيم، وفى أحـــداث كثيرة" فحلم فرعون كان: جرس إنذار عالى الصوت وأزعج ملك مصر، حلم أزعج أعظم حضارة عرفتها البشرية فى كل عصورها! حلم فرعـــون! أربكـــه وأزعجه ولكن السحرة وحكماء مصر لم يستطيعوا أن يفسروه، فصوت الله لا يسمعه إلا أبنائه، فالخراف تسمع صوت راعيها، فالمزمور يقول عن يوسف: "يا راعى إسرائيل إصغ يا قائد يوسف كالضأن" (مز ٨٠ – ١) سنرجع الآن إلى تفاصيل الحُلم الشهير، وشخصية فرعون، وموقف عبيده، وموقف الحكمـــاء الذين أذهلوا العالم بحضاراتهم وتماثيلهم ونقوشهم وحفظهم لأجساد موتاهم.

ماذا سيسمعون من كلام الله وصوته؟! وماذا أيضاً سيكون إقتـــراحهم؟! وماذا قالوا للفرعون العظيم؟! ومن الذى سيذكر يوسف؟!

الإصحاح الحادى والأربعون يبدأ بحدث من بعد سنين من الزمان، وهنـــا أراد الكتاب المقدس أن يذكر لنا المدة التى قضاها يوســـف فى الـــسجن، أى سنتين بعد إحدى عشر سنة فى بيت فوطيفار. نرجع هنا إلى الحلـــم وإذا هـــو واقف عند النهر، والنهر هنا هو نهر النيل العظيم، يتضح لنا هنا أن نهر النيـــل العظيم كان محور حياتهم وأساسها وأساس تعمير الدلتا وأيـــضاً هـــو محـــور

أحلامهم، فالنيل هو الحياة فى كل مصر..

دعونا نتأمل فى هذا الحلم العجيب، نهر أى مياه عذبة + ثروة حيوانية + سنابل القمح، هذه هى الحياة، فبالحلم أراد الله أن يقول لفرعون ستدمر الحياة كلها عندك، الماء، الخبز أى القمح، اللحم، حياة الفقراء وحيـــاة الأغنيـــاء، الجميع سيجوع، الجميع سيعتاز إلى الخبز والماء، وكل مظاهر الحياة، واللافت للنظر فى هذا الحلم تكراره ولكنه تكرار للتأكيد ولكنه تأكيد وتوضيح أكثـــر من الله أنه ستكون مجاعة بدليل القمح أى الحياة بحلم السنابل، فإستيقظ فرعون وإذا هو حُلم – ماذا يصنع هذا الفرعون وهو المتـــأثر بـــالأحلام وبالتفائـــل وبالمصرية القديمة بكل إجتماعيتها وعاداقا؟! ودائماً الملوك فى هذه الحـــالات يجمعون السحرة والمنجمين وأصحاب الطالع والعرافين والحكمـــاء وترتبـــك القصور من مجرد أحلام ولكنه ليس أى حُلم طبيعى ولكن هذه المرة لم يكـــن منهم معبر عن الحلم لفرعون، ووقفوا أمام الله وصوته فاشلين وذلك لأنهـــم لم يعتادوا أن يسمعوه ولا حسوه ولا إنتظروه! وقفوا ينظرون إلى بعضهم بعض! من منا يجيب فرعون عن حلمه؟ ولكن من بعيد وقف إنسان صُنع له معروف من شخص لاقاه فى سجن، هذا الإنسان هو الـــساقى، أظـــن أن الـــساقى لم يستطيع أن يكلم فرعون فى وجود السحرة والعرافين بل كلمة فى إختلاء قائلاً "أنا أتذكر اليوم خطاياى فرعون سخط على عبديه".

كلمة فرعون: "سخط على عبديه" لأن هذا الفرعون الذى يكلمه لم يكن الفرعون الذى سجنه.

لأنه قال: " فرعون سخط " كان ينبغى أن يقول: " جلالتك سخطت علىّ

فأرسلتنى إلى السجن " ولكنه تغير فى الحكم أو صوت الفرعون المهم فجعلنى فى حبس بيت رئيس الشرط أنا ورئيس الخبازين فحلمنا حلماً فى ليلة واحدة، أنا وهو حلمنا كل واحد بحسب تعبير حلمه، وهنا نقترب أكثر وأكثر من دخول يوسف فى حلبة السياسة .. وإعلان عن وجود الله، أتى الله بالحلم لفرعون ليسمعه الساقى، ليتذكر يوسف السجين، كان هناك معنا غلام عبرانى عبد لرئيس الشرط فقصصنا عليه فعبر لنا حُلمينا، عبر لكل واحد بحسب حُلمه وكما عبر لنا هكذا حدث ردنى أنا إلى مقامى أما هو فعلقه.

❋❋❋

(فأرسل فرعون ودعا يوسف فأسرعوا به من السجن. فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون فقال فرعون ليوسف حلمتُ حُلماً وليس من يُعبرُهُ وأنا سمعت عنك قولاً إنك تسمع أحلاماً لتُعبرها فأجاب يوسف فرعون قائلاً ليس لى الله يجيب بسلامة فرعون).

تك ٤١ (١٤ – ١٦)

.. دعوة يوسف من السجن ..

نام يوسف فى السجن فى ليلة مثل أى ليلة، ولا يعلم صاحب قصتنا أنها آخر ليلة فى السجن والعبودية والذل والمذلة والتهميش وعدم الراحة وغداً ستشرق شمس جديدة على مصر .. هى شمس يوسف الصديق .. شمس الله المضيئة على العالم لإنقاذه من الجوع .. غداً سيصبح يوسف من أشهر

الشخصيات فى التاريخ على مر العصور .. غداً سيصبح وجود يوسف فى العالم له أهمية وضرورة ملحة .. غداً سيقف أمام أشهر شخصية فى ذلك العصر وهى شخصية فرعون مصر ..!!

ذلك الفرعون الغارق فى أحلامه ومشاكله!

إستيقظ يوسف من نومه كالعادة وقام ليواصل أعمال اليومية وفجأة وصل مندوب من قصر فرعون يستدعى شاب يقال له يوسف العبرانى، هكذا خرج أمر الإستدعاء بالإسم، ويلد المولد والمكان، فمصر منظمة إلى أبعد الحدود، فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون ملك مصر، وقف يوسف يسمع بأذن الله القادرة على حل أصعب المشاكل وأعقدها، وقف يوسف يسمع فرعون ماذا يريد منه، هل سأل يوسف الحارس الذى لقى به من السجن ماذا يريد منى فرعون مصر؟ هل توجد مشكلة بسببى؟! هل صنعت شئ؟! فوجود يوسف فى مصر كله ظلم، فى ظلم بيع وعبودية وإتهامات باطلة سجن، ما هذه الحياة القاسية على شاب صغير، المهم وقف يوسف يسمع فتكلم فرعون قائلاً: "حلمت حُلم وليس من يعبره وأنا سمعت عنك قولاً إنك تسمع أحلاماً لتعبرها" فأجاب يوسف فرعون قائلاً: "ليس لى الله يجيب بسلامة فرعون".

جميل جداً قول يوسف: "ليس لى" منتهى الإتضاع من فم يوسف: "ليس لى" أى بمعنى: "ليس أنا بل بالله الساكن فىّ".

حقاً الله لا يترك نفسه بلا شاهد! فى كل زمان ومكان! هذه الكلمة القوية من يوسف: "ليس لى" هى حقاً أحسن بداية، المسئولية سوف يلقيها على الله "ليس لى" ولاشك أن يوسف كان يتحلى بالأدب الجم والشديد والمجاملة

الصادقة الحقة.

"الله يجيب بسلامة فرعون" وبالتالى مصر كلها، فالسلام هو سلام سياسى وإقتصادى وأمن مصر كلها. "الله يجيب بسلامة فرعون".

✠✠✠

(فقال فرعون ليوسف انى كنت فى حلمى واقفاً على شاطئ النهر. وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينة اللحم وحسنة الصورة فارتعت فى روضة ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها مهذولة وقبيحة الصورة جداً ورقيقة اللحم لم أنظر فى كل أرض مصر مثلها فى القباحة فأكلت البقرات الرقيقة والقبيحة البقرات السبع الأولى السمينة فدخلت أجوافها ولم يعلم إنها دخلت فى أجوافها فكان منظرها قبيحاً كما فى الأول وإستيقظت ثم رأيت فى حلمى وهوذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحد ممتلئة وحسنة ثم هوذا سبع سنابل يابسة رقيقة ملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع الحسنة فقلت للسحرة ولم يكن من يخبرنى).

تك ٤١ (١٧ – ٢٤)



وإستطرد فرعون كلامه قائلاً : "إنى كنت فى حلمى واقفاً على شاطئ النهر وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر" ثم يكمل فرعون حديثة عن أحلامه بالنسبة للسنابل إلى أخر الحلم الشهير، كل ذلك ويوسف يسمع وهو مذهول وتفكير عميق وكأنه يتأهب لسماع صوت الله! وإنتهى فرعون حديثه قائلاً : "فقلت للسحرة ولم يكن من يخبرنى" وأنهى فرعون أخر فصول الحلم منتظراً وناظراً إلى يوسف ماذا يقول؟! أحقاً كما يقولون عنه إنه مفسر أحلام أم يكون شاباً طامعاً فى الخروج من السجن بأى صورة وشكل؟! أم يحب الظهور أمام الملوك والفراعنة؟!..

وما أكثر هؤلاء رأهم فرعون وتقابل معهم، أم ماذا يكون اسمع؟! ربما سأسمع شيئاً جديداً؟!..

وإنتظرت مصر كلها هذا الكلام، وظلت العيون كلها تنظر إلى فم يوسف منتظرة سماع صوت الله، وهذا الفتى العبرانى الجميل الصورة والحسن المنظر لاسيما إنه أبدل ثيابه وحلق ذقنه.

وبدأ يوسف على أكثر الظن أنه يصلى بقلبه إلى الله قبل أن يجيب مثلما صنع حفيده نحميا أمام الملك وبدأ يوسف يجمع القصة ومبدأ بالحديث!!

❈❈❈

(فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد قد أخبر الله فرعون بما هو صانع البقرات السبع الحسنة هى سبع سنين والسنابل السبع الحسنة هى سبع سنين. هو حلم واحد والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التى طلعت وراءها

هى سبع سنين والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً هو الأمر الذى كلمت به فرعون قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع هوذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً فى كل أرض مصر ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً فينسى كل الشبع فى أرض مصر ويتلف الجوع الأرض ولا يُعرف الشبع فى الأرض من أجل ذلك الجوع بعده لأنه يكون شديداً جداً وأما عن تكرار الحُلم على فرعون مرتين فلأن الأمر مقرر من قبل الله والله مُسرع ليصنعه) .

تك ٤١ (٢٥ – ٣٢)

أنه حديث سوف يغير مجرى التاريخ ويحفظ الحياة للعالم، فقال يوسف لفرعون: "حُلم فرعون حُلم واحد قد أخبر الله فرعون بما هو صانع، البقرات السبع هى سبع سنين، والسنابل السبع الحسنة هى سبع سنين، هو حُلم واحد، والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التى طلعت وراءها هى سبع سنين، والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً، هو الأمر الذى كلمت به فرعون قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع".

هنا أراد يوسف الصديق أن يقرب العلاقة بين الهه وفرعون مصر!

تفسير الحلم

بدأ يوسف الصديق يفسر الحُلم كما وضع الله فى قلبه من كلام لأن يوسف سمى بالصديق لأنه صدق مواعيد الله، بدأ كلامه بالتفسير المباشر بدأ

بقوله: "هوذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً فى كل أرض مصر ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً فينسى كل الشبع فى أرض مصرٍ ويلتف الجوع الأرض ولا يعرف الشبع فى الأرض من أجل ذلك الجوع لأنه يكون شديدا جدا".

أما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر مقرر من قبل الله، والله مسرع ليصنعه.

هنا أنهى يوسف تفسير الحلم أو تعبيره، أى عبر عن مدلوله وتفسيره، الحق أقول لكم أنه لا يوجد إنسان يفسر هذا الحلم العجيب سوى يوسف، وأكاد أجزم أن أقول أن الله خلق يوسف لهذه المهمة الناقذة للبشرية، ولكن لم يكتفى يوسف بتفسير الحلم فقط بل بتقديم النصيحة أيضاً، بعد أبينا يوسف الصديق بقرون طويلة جاءنا القول: "من يستطيع أن يصنع خيراً ولا يصنع فذلك خطية له".

✠✠✠

(فالآن لينظر فرعون رجلاً بصيراً وحكيماً ويجعله على أرض مصر يفعل فرعون فيوكل نظاراً على الأرض ويأخذ خُمس غلة أرض مصر فى سبع سنى الشبع فيجمعون جميع طعام هذه السنين الجيدة القادمة ويخزنون قمحاً تحت يد فرعون طعاماً فى المدن ويحفظونه فيكون الطعام ذخيرة للأرض لسبع سنى الجوع التى تكون فى أرض مصر فلا تنقرض الأرض بالجوع).

تك ٤١ (٣٣ - ٣٦)

الإصحاح الحادى والأربعون والعدد ٣٣ سوف يشهد الحل الأمثل

لأصعب مشكلة إقتصادية تواجه العالم فى تلك الحقبة الزمنية الشهيرة، وعلى صفحات الكتاب المقدس جاء يوسف بالحل الأمثل!

أريد هنا أن أركز على شئ مهم جداً فى نصيحة يوسف لفرعون ، إنها كانت خالية من أى مطمع سياسى أو مركز فرعونى فى أرض غريبة، فإنسان خارج حالاً من السجن لاشك أنه يفكر فى الحرية وشمس الإستقلال من السجن وتنسم هواء الحرية، ولاشك أنها كانت مفاجأة كبيرة ليوسف الصديق أجمدت قلبه لاسيما من هول المسئولية، فهو صاحب النصيحة والفكرة، وهو الوحيد القادر على تنفيذها!

قال يوسف لفرعون..

فالآن ينظر فرعون رجلاً بصيراً وحكيماً ويجعله على أرض مصر يفعل الفرعون، فيوكل نظاراً ويخزن القمح لسبع سنى الجوع الآتية على العالم.

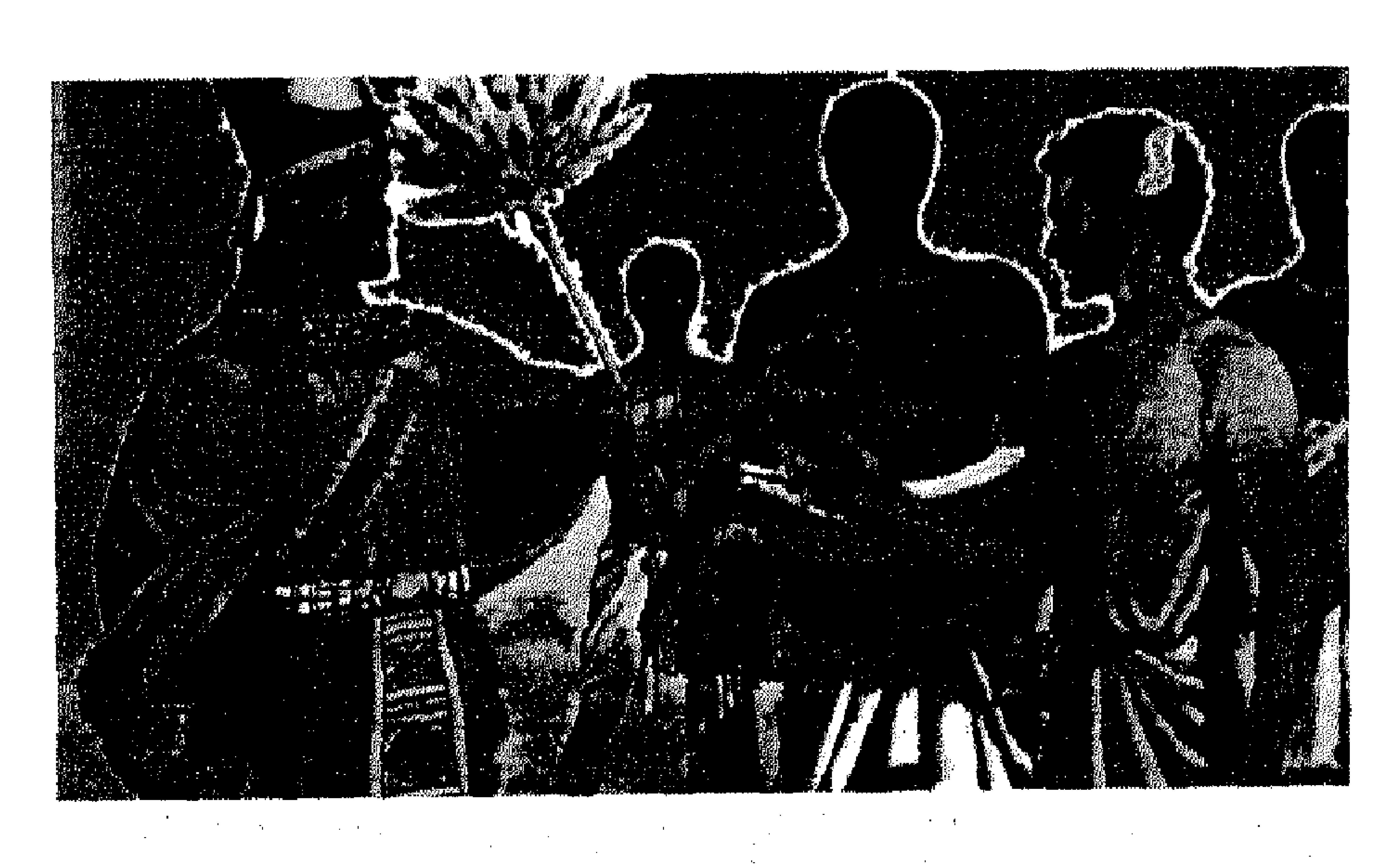
هنا إنهى يوسف الصديق طريقة معالجة المشكلة الواقع فيها فرعون، نحن هنا الآن على بعد ثوانى قليلة حين ينطلق فم فرعون مصر العظيم بمجد يوسف الخالد.

❈❈❈

(فحسن الكلام فى عينى فرعون وفى عيون جميع عبيده فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله، ثم قال فرعون ليوسف بعدما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك، أنت تكون على بيتى وعلى فمك يقبل جميع شعبى إلا أن الكرسى أكون فيه أعظم منك ثم قال

فرعون ليوسف أنظر قد جعلتك على كل أرض مصر وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب فى عنقه وأركبه فى مركبته الثانية ونادوا أمامه أركعوا وجعله على كل أرض مصر وقال فرعون ليوسف أنا فرعون فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله فى كل أرض مصر. ودعا فرعون إسم يوسف صفنات فعنيح وأعطاه أسنات بنت فوطى فارع كاهن أون زوجة فخرج يوسف على أرض مصر وكان يوسف إبن ثلاثين سنة لما وقف قدام فرعون ملك مصر فخرج يوسف من لدن فرعون وإجتاز فى كل أرض مصر).

تك ٤١ (٣٧ - ٤٦)



إعترف الفرعون العظيم قائلاً: "هل نجد مثل هذا فيه روح الله" إنه إعتراف بإله العبرانيين الذى هو إله يوسف، والله لا يترك نفسه بلا شاهد، فى كل زمان

ومكان، وتعين يوسف ماذا أقول فى أى منصب؟! منصب يتناسب مع قلبه الساكن فيه روح الله. وزير أم رئيس وزراء؟! أقول لكم ليس كل هذه المناصب ولكنه الرجل الثانى فى مصر، شاب سجين إلى ثانى شخصية فى الدولة!.. عجيب أنت يارب .. ما هذه النقلة العجيبة ؟! لا يستطيع أى قلب أو أعصاب أو نفسية أن تتحملها، فعلاً يستطيع يوسف أن يتعايش مع المشكلة، وهو جدير بالمنصب، ولكنه لما يتهيأ نفسياً لهذه المهمة فإنسان خارج من السجن أى نفسية يكون فيها، ولكنها نعمة الله القادرة على تهيئة نفوس البشر ليتعايشوا مع حياتهم بمختلف أوجهها وإنقلابتها (سجن + الرجل الثانى فى مصر) صدمة عجيبة!! لم يفكر فيها يوسف أو يتوقعها! ولكن هذه هى إرادة الله الذى ينصب الملوك ويعزلها ، يهيئ قلوبهم لمسئوليتهم. فحسن الكلام فى عينى فرعون وفى عيون جميع عبيده، ومن لا يستحسن هذا الحديث الذى لم يخطر على قلب فرعون تفسيراً وحلاً. ثم قال فرعون ليوسف: "بعد ما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك" شهادة من فرعون مصر ليوسف قرار التعيين.

"أنت تكون على بيتى وعلى فمك يقبل جميع شعبى إلا أن الكرسى أكون فيه أعظم منك" ثم قال فرعون ليوسف: "أنظر قد جعلتك على كل أرض مصر . وخلع فرعون خاتمة من يده وجعله فى يد يوسف والبسه الفرعون ثياب بوص ووضع طوق ذهب فى عنقه وأركبه فى مركبته الثانية ونادوا أمامه أركعوا وجعله الفرعون على كل أرض مصر" وقال فرعون ليوسف: "أنا فرعون فبدونك لا يرفع إنسان يده أو رجله فى كل أرض مصر . ودعا فرعون مصر إسم يوسف صفنات فعنيح" ومعنى هذا الإسم وترجمته:

(مخلص العالم أو منقذ العالم) وأعطاه بنت فوطى فارع كـاهن أون، وخـرج يوسف على أرض مصر وإجتاز فى كل الأراضى، وكان عمر يوسف فى ذلك الوقت إبن ثلاثين عام.

هنا إنتهت حيثيات القرار الذى أصدره فرعون مصر القديمة.. ولى تعليق هنا على هذا القرار التاريخى .. هذا ليس قرار تعيين وزير أو رئيس وزراء!.. بل هو قرار حفظ الحياة للعالم، ولا شك أن الله قد ألهم فرعون مصر لهذا القرار لأن قلب الملك فى يد الله، حيثما شاء يميله، وحكمة فرعوننا تتجلى هنا بشكل واضح وذلك فى تسمية فرعون ليوسف، فلم يختار له أى إسم بل إسم جميـل يدل على معنى هذه المهمة، وإيمان فرعون بيوسف، أسماه صفنات فعنـيح أى (مخلص العالم أى منقذ العالم) من الجوع والهلاك.

وخلع فرعون لخاتمه له مدلول على ترك الموضوع كلـه برمتـه، وتـرك الساحة كاملة له ليفعل كما يشاء وذلك من فرط ثقته فى يوسف!! ورؤية الله داخله، كما أن يوسف كان واقفاً لا يتزعزع، بالرغم مـن هيبـة الفرعـون وموقف عبيده وملابسهم الفرعونية الجميلة وهيبة الحلم وتفسيره العجيب، كل هذا بسبب وجود الله داخله، ويوسف كانت له أيضاً هيبة وجـلالاً، وهـذه سمات الإنسان العفيف والذى يمتاز بالقوة، وقوة الشخصية، وأركبه فى مركبته الثانية ونادوا أمامه "إركعوا . . ." !!

رفض أحد عشر أخ الركوع والسجود ولو فى الحُلم أمام أخيهم فركعت مصر كلها!!

رفض الخطية فركعت مصر كلها حضارة وشعباً وإدارة أمام يوسف والله

الساكن فيه!!

يقول الكتاب المقدس: "فخرج يوسف من لدن فرعون وإجتاز فى كل أرض مصر" حالاً قام يوسف النشيط المهتم دائماً بما يكلف به ليجتاز فى كل أرض مصر، قام يوسف حالاً فأمامه مشروع كبير ومهمة جسيمة لأنه سيكون هو البائع لكل مشترى الأرض.

كيف سيطعم يوسف مصر القديمة الفرعونية؟! كيف سيواجه هذه المشكلة؟ كيف سيجمع القمح؟ وأين يضعه؟ وكيف سيخرجه للعالم ؟ وكيف سيضع يوسف أسعار القمح؟ وكيف سيواجه الكهنة والمستشارين؟ وكيف يجمعهم فى صفه؟!.

وفرعون قال له: "على فمك يقبل جميع شعبى لا يستطيع أحد أن يرفع يد أو رجل فى كل أرض مصر إلا بأمر يوسف" وكيف سيواجه المؤامرات فى القصر الفرعونى؟ لاشك أن الله قد أعطاه نعمة فوق نعمة فى عيونه وخدمة ولا يستطيع أحد أن يصنع شئ إلا بأمر يوسف.



(وأثمرت الأرض فى سبع سنى الشبع بحزم فجمع كل طعام السبع سنين التى كانت فى أرض مصر وجعل طعاماً فى المدن طعام حقل المدينة الذى حواليها جعله فيها وخزن يوسف قمحاً كرمل البحر كثيراً جداً حتى ترك العدد إذ لم يكن له عدد وولد ليوسف إبنان قبل أن تأتى سنة الجوع ولدتهما له أسنات بنت فوطى فارع كاهن أون ودعا يوسف إسم البكر منسى قائلاً لأن الله أنسانى كل تعبى وكل بيت أبى ، ودعا إسم الثانى أفرايم قائلاً لأن الله جعلنى مثمراً فى أرض مذلتى ، ثم كملت سبع سنى الشبع الذى كان فى أرض مصر وإبتدأت سبع سنى الجوع تأتى كما قال يوسف فكان جوع فى جميع البلدان وأما جميع أرض مصر فكان فيها خبز ولما جاعت جميع أرض مصر وصرخ الشعب إلى فرعون لأجل الخبز قال فرعون لكل المصريين إذهبوا إلى يوسف والذى يقول لكم إفعلوا ، وكان الجوع على كل وجه الأرض وفتح يوسف جميع ما فيه طعام وباع للمصريين وإشتد الجوع فى أرض مصر وجاءت كل الأرض إلى مصر إلى يوسف لتشترى قمحاً لأن الجوع كان شديداً فى كل الأرض) .

تك ٤١ (٤٧ – ٥٧)

أثمرت الأرض فى سبع سنى الشبع، بحزم هنا تحقق كلام يوسف الصديق من ظهور أول سنى الشبع، لأنه كان لابد من وجود مشككين فى كل كلام يوسف جملةً وتفصيلياً نظراً لأن سنى الجوع سوف تأتى بعد سبع سنين، ومن

ينتظر حدثاً على بعد سبع سنين؟! وربما لا تأتى لأن الإنسان فى حالة الشبع لا يذكر شئ، المهم أثمرت الأرض فى سبع سنى الشبع بحزم أى بقوة وغزارة وكثرة ووفرة، فمبارك شعب مصر فجمع كل طعام السبع سنين التى كانت فى أرض مصر، جعل طعام المدن فى المدن وطعام حقل المدينة الذى حواليها، جعله فيها أى بنظام شديد، وخزن قمحاً كرمل البحر كثيراً جداً حتى ترك العدد إذ لم يكن له عدد ولم يجد عدداً يسعفه، وولد ليوسف قبل أن تأتى سنة الجوع.

أعطى الله ليوسف إبنان، ليس فى المجاعة بل فى آخر سنة الشبع!. ودعا يوسف إسم البكر منسى قائلاً: "لأن الله انسانى كل تعبى وكل بيت ابى" ودعا الثانى افرايم قائلاً: "لأن الله جعلنى مثمراً فى أرض مذلتى".

قديماً كانوا يسمون أولادهم أحياناً بالأماكن أو بأسماء المدن أو بأسماء الإتفاقيات بينهم، بأحداثهم المفرحة أو الحزينة، وها هو يوسف يمارس عادات أهله وبيت أبيه حتى فى بلاد المصريين الفراعنة!.

ثم أتت أول سنى الجوع التى إنتظرتها مصر وإنتظرها فرعون وإنتظرتها السياسة فى مصر واللجنة الإقتصادية برئاسة يوسف الصديق أو صفنات فعنيح..

الجوع فى مصر وبداية عمل يوسف الحقيقى:

يحدثنا الكتاب المقدس هنا عن تفاصيل المجاعة الشهيرة وكيف واجهها يوسف!!

هنا بدأت مصر تشعر بالمجاعة بعد إنتهاء سنى الشبع، ونظراً للخير الموجود

فى مصر بدأت مصر تشعر بالجوع متأخراً عن بقية الأرض، وهنا لا ندرى أين نهر النيل فى ذلك الوقت أقصد المجاعة، فلم يرد فى الكتاب المقدس أى ذكر أو وجود لنهر النيل، أثناء المجاعة أجف ؟! أم نقص نقصاً شديداً ؟! دائماً للمجاعة سببان سبب إلهى لا نعلمه، وسبب بيولوجى متعلق بعلوم الأرض.

جاءت المجاعة .. وصرخ الشعب إلى فرعون الرئيس، فقال فرعون: "إذهبوا ليوسف أى صفنات فعنيح" وهنا فتح يوسف مخازنه للمصريين، وبدأت تشعر الأراضى المجاورة بالجوع، فوجدت شئ غريب جداً وهو وجود خبز فى مصر، ولم تتأثر مصر بالجوع مثلهم، وبدأ نجم مصر يلمع بين الأمم والأراضى المجاورة وذلك لوجود الخير فيها ولبقائها متماسكة فى وقت إنهارت فيه أمم كثيرة وأراضى لا حصر لها بسبب الجوع، وكيف تجوع والله فيها فى شخص يوسف الصديق!.

والفكرة العظيمة لتخزين القمح وهنا يتبادر إلى الذهن فكرة كيف خزن يوسف القمح كل هذه المدة ولم يخسر أى لم يصيبه السوس لأنه ممكن أن يسوس القمح وهو مازال فى الأرض وكيف يخزن كل هذه المدة ولا يسوس؟!

نأخذ مثال لو أن يوسف فى المجاعة بدأ يخرج القمح الذى خزنه فى أول سنى الشبع سوف يخرج أول سنى الجوع أى مرت سبع سنين قمح يخزن سبع سنين ولا يسوس كيف ذلك ؟؟!

هناك فكرة فرعونية وهى من أسرار الفراعنة لأن الفراعنة حياتهم كلها أسرار إقتبسها يوسف والفكرة تتلخص فى الآتى:

لو وضعنا أى شئ ينمو مثل طبق صغير فيه قطن مبلول وعليه حبيبات

قمح أو ذرة أو أى حبوب، ووضعنا فوقه أى شئ مهرم أو شكل مثلث، ينمو أربع أضعاف عن الطبق الآخر الذى ليس فوقه أى شئ، فلو وضعنا قمح يوسف الشهير فى صوامع مهرمة فسوف تحفظها هذه الأجران المبنية على شكل أهرامات كبيرة إلى سنين دون أن تفسد أو يصيبها العطب!

والفكرة تتلخص أن يوسف خزن القمح فى سنابله (أى بقشرة القمح) وهذا حفظها من العطب والفساد والسوس.

مثلاً فى زمن المجاعة، ففى المجاعة تزداد الجريمة، هكذا حفظ يوسف الحياة فى مصر والعالم وذلك ببركة الله الحاله فى روحه ، أسند الجوع فى كل الأرض فذهب المصريين إلى الفرعون فقال لهم إذهبوا إلى يوسف ففتح يوسف مخازنه وباع يوسف لكل المصريين وجاءت كل الأرض لتشترى من يوسف القمح...

❊❊❊

(فلما رأى يعقوب أنه يوجد قمح فى مصر قال يعقوب لبنيه لماذا تنظرون بعضكم إلى بعض وقال إنى قد سمعت أنه يوجد قمح فى مصر ، إنزلوا إلى هناك وإشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت ، فنزل عشرة من إخوة يوسف ليشتروا قمحاً من مصر وأما بنيامين أخو يوسف فلم يرسله يعقوب مع إخوته لأنه قال لعله تصيبه أذية) .

تك ٤٢ (١-٤)

الإصحاح الثانى والأربعون ينقلنا مباشرة وبدون مقدمات إلى أهم شئ فى القصة كلها وهى: (مجاعة يعقوب والأسباط) بالإجمالى عائلة يوسف القديمة والحديثة.

يقول الكتاب: فلما رأى يعقوب أنه يوجد قمح فى مصر .. إلى حد كبير كانت شهرة مصر منتشرة على وجه كل الأراضى إلى أن وصلت إلى مسامع يعقوب أبو الأسباط، ولا يدرى يعقوبنا أن هذه الشهرة الشهيرة التى تتمتع بها مصر الآن هى من فضل إبنه الحبيب يوسف!! الغائب الحاضر الذى لا يريد قلبه وعقله أن يصدق أن يوسف مات وإنتهى أمره، لا يعلم يعقوب أن حفظ الحياة فى العالم كانت بواسطة إبنه يوسف..

فى أيام نوح جد يوسف الكبير هذا، كان هناك هلاك للبشرية، ذلك من فرط المياه، وفى أيام يوسف الصديق كانت من ندرة المياة..

وصل الخبر إلى يعقوب بوجود قمح فى مصر بعد أن حس يعقوب وأبناؤه بالجوع الشديد لاسيما سكان الخيام المرتحلين من مكان لمكان، هؤلاء الناس هم أول الذين يشعرون بالجوع.

❈❈❈

(فأتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا لأن الجوع كان فى أرض كنعان وكان يوسف هو المسلط على الأرض وهو البائع لكل شعب الأرض فأتى إخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض ولما نظر يوسف إخوته عرفهم فتنكر لهم وتكلم معهم بجفاء وقال لهم من أين جئتم فقالوا من أرض كنعان لنشترى طعاماً وعرف يوسف إخوته وأما هم فلم يعرفوه).

تك ٤٢ (٥ – ٨)

الرحلة الأولى لبنى إسرائيل إلى مصر :

تتحرك الأرجل إلى مصر لوجود الخبز فيها؟ أم للقاء المفقود؟ أم للقاء المبيع منهم؟ أم للمكروه بينهم؟ أم لأخ صغير أُذى وبيع بينهم عاطفياً وإجتماعياً؟!

لست أدرى ماذا كان فكرهم وهم ذاهبون لمصر، وما هو فكرهم فيما بعد، وكم ستشتعل الأحداث سخونة وعاطفة وذهول وجمود فى القلوب من هول الصدمة الشديدة الغير متوقعة أيضاً، أشفق عليكم أيها الأسباط من هول ما تلاقون على بعد خطوات إلى مصر.

فأتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا لأن الجوع كان فى أرض كنعان وكان يوسف هو المسلط على الأرض وهو البائع لكل شعب الأرض.

عجيب هو الكتاب المقدس فى سرده للأحداث والوقائع "فأتى بنو إسرائيل ليشتروا ويوسف هو المسلط على الأرض" تأملوا هذا التناقض العجيب! والخطوة القادمة هى ولا محالة السجود، سجدوا ليوسف دون أن يشعروا.



والفقرة الثانية هى التفاصيل لهذا اللقاء العجيب من وجهة نظر يوسف فقط وليس من وجهة نظرهم!.

اللقاء الأول بيوسف :

إستيقظ يوسف كالعادة ليباشر أعماله السياسية من مقابلة الفرعون اليومية ليقدم تقاريره اليومية ومقابلة زوار الدولة القديمة مصر ومقابلة مشترين القمح، ومقابلة المترجمين ليترجموا له لغة هؤلاء الشعوب، التى هى أول مرة يقابلهم يوسف فى حياته، فحياة يوسف قاصرة على كنعان ومصر فقط، هذا هو مدار حياته، كنعان والرئاسة فى مصر ومقابلة مدير بيته وعبيده وخدمه ورؤساء ووزراء البلاد المحيطة لمصر من كل جهة، التى تربطهم بمصر مصالح وحوارات سياسية.

ولاشك أن الحوار الذى يفرض نفسه بينهم هى المجاعة، وكيف ستواجه، ومقابلات كثيرة مع وفود ومشترين، ولا يدرى يوسف أنه سوف يكون يوم لا يتوقعه أبداً، وهى مقابلة إخوته الذين باعوه وقبضوا ثمنه وإسترحمهم ولم يرحموه وإستعطفهم ولم تتحرك أحشاؤهم إليه..

سوف يقابلهم، ولكن هنا يتبادر إلى الذهن سؤال غريب!! لم يخطر على بال الكثيرين وهو: لماذا لم يذهب يوسف بعد أخذ مكانة كبيرة فى بيت فوطيفار؟! وبعد ذلك فى مثو فرعون والرئاسة الكبرى لمصر، لماذا لم يذهب إلى بيت أبيه؟! ويعرف أبيه أنه حى وأنه لم يمت؟! هل نسى بيت أبيه؟! هل نسى يعقوب أبيه وهديته الجميلة ؟! ذلك القميص الملون هل نسى حب أبيه له؟!

لا لم ينسى، ولكن أطاع يوسف مشيئة الله. أطاع بحب كبير ولم ينظر إلى الوراء، ولم يبحث عن أبيه وإخوته، طالماً هذه مشيئتك يارب فلن أنظر إلى الوراء، فأنت يا الله عائلتى وكل حياتى وأسرتى فالمزمور يقول: (يا راعى

إسرائيل اصغ يا قائد يوسف كالضأن) مز٨٠ (١ – ٣)

فيوسف لم يكن ليبحث عن إخوته ولكنهم هم الذين أتوا إليه ساجدين!!

عجيب أنت يارب فى جميع طرقك وأحكامك .. فلنترك الأيـــام لتـــتكلم ويتكلم فيها الله بكل مشيئته.

المهم جاء وفد من أناس بسطاء قرويين من سكان الخيام من أرض يقال لها كنعان، فالنظام فى مصر هو أن تأتى الوفود منتظرة قدوم الـــوزير الفرعـــونى المسئول، إننتظروا وإنتظروا كثيراً حتى حضر لهم بموكب من المشاة والحـــراس والمقدمين والمترجمين وقائد الحرس، ووقف يوسف أمامهم على درج عالى كعادة الفراعنة فى مقابلة رعاياهم، ونظر يوسف إخوته وعرفهم (تك ٤٢–٧).

كم من الدهشة أصابت يوسف؟! هل هم إخوتى ؟! أم يشبهونهم ؟! الشبه ممكن لواحد أو إثنين ولكن الشبه فى هذا العدد الكثير لا! لاشك إنهم إخوتى، هل تحركت أحشاءه عليهم ؟! ماذا كان شعوره تجاههم؟!

يقول الكتاب المقدس أنه تنكر لهم أى لم يُعرفهم بشخـــصيته الحقيقيـــة، ليعرف أى نوع من الرجال أصبحوا بعد هذه المدة الطويلة، ولا شك أن عينيه صارت تتجول بينهم فى صمت مطبق منه ومنهم أيضاً .. لماذا ينظر إلينا هكذا هذا الرجل؟!.. وأكيد أنه كان يبحث بعينه عن أخيه الصغير بنيامين لاشك أنه كبر ولكن أين هو؟!

طبعاً لم يرسله يعقوب أبيهم معهم لخوفه عليه ولإحساسه بعدم أمانة هؤلاء الأبناء تجاه الصغار من إخوانهم!!

فتنكر لهم وتكلم معهم بجفاء وقال لهم: "من أين جئتم؟" فقالوا: "من أرض

كنعان لنشتري طعاماً" وعرف يوسف إخوته أما هم فلم يعرفوه (تك٧:٤٢-٨).
سريعاً من فرط خوفهم من مهابة الموقف قالوا سريعاً: "من أرض كنعان لنشتري طعاماً"!!

حينما رآهم يوسف تذكر الأحلام حالاً وتأكد منها وذلك من سجود أخوته له!

❈❈❈

(فتذكر يوسف الأحلام التي حلم عنهم وقال لهم جواسيس أنتم لتروا عورة الأرض جئتم فقالوا له لا يا سيدي، بل عبيدك جاءوا ليشتروا طعاماً نحن جميعنا بنو رجل واحد نحن أمناء، ليس عبيدك جواسيس، فقال لهم كلا بل لتروا عورة الأرض جئتم، فقالوا عبيدك إثنا عشر أخاً، نحن بنو رجل واحد في أرض كنعان وهوذا الصغير عند أبينا اليوم والواحد مفقود، فقال لهم يوسف ذلك ما كلمتكم به قائلاً جواسيس أنتم بهذا تُمتحنون وحيوة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجئ أخيكم الصغير إلى هنا، أرسلوا منكم واحداً ليجئ بأخيكم وأنتم تُحبسون فيُمتحن كلامكم هل عندكم صدق وإلا فوحيوة فرعون إنكم لجواسيس، فجمعهم إلى حبس ثلثة أيام).

تك ٤٢ (٩ - ١٧)

فتذكر يوسف الأحلام التي حلم عنهم، وقال لهم: "جواسيس أنتم لتروا عورة

الأرض جئتم" فقالوا: "لا يا سيدى، بل عبيدك جاءوا ليشتروا طعام، نحن جميعاً بنو رجل واحد، نحن أمناء، ليس عبيدك جواسيس" فقال لهم: "كلا بل لتروا عورة الأرض جئتم" فقالوا: "عبيدك إثنا عشراً أخاً، نحن بنو رجل واحد فى أرض كنعان" ثم بدئوا يشرحون للفرعون الصغير ظروف حياتهم وتاريخ أسرهم، أراد يوسف الصديق أن يمتحنهم بكلامهم الصادق الذى قالوه فإتهمهم يوسف بأنهم جواسيس، أتيتم لتروا عورة الأرض. ما معنى عورة الأرض؟!

كلمة عورة بمعنى الشئ المخفى عن العيون ومحتجب عن الآخرين، أما عورة الأرض فهى معرفة نقاط الضعف فيها.

بدأ يوسف حواره معهم بطريقة لم تتوقع منه لغرابتها، ماذا يريد يوسف منهم ؟ ماذا يريد فى إمتحانهم هذا؟

أراد يوسف أن يعرف أى نوع من الرجال أصبحوا، فأكد عليهم التهمة السابقة ما كلمتكم به قائلاً جواسيس أنتم بهذا تُمتحنون فاوحيوة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجئ أخيكم الصغير إلى هنا!! فعلاً إشتاق يوسف أن يرى بنيامين أخيه الشقيق إبن أمه راحيل الجميلة، فلا يستطيع أن يراه إلا بحبسهم ليأتوا به إليه ليراه دون أن يعرفوا من الذى يكلمهم، وفعلاً حبسهم يوسف إلى ثلاثة أيام ولا أدرى كيف كانت مشاعره فى ذلك الوقت، أظن أن يوسف ظل يفكر ويفكر كثيراً وهم فى بيت حبسهم، ماذا يصنع معهم؟ كيف سيكون الحوار؟ كيف سيلم الشمل بين العائلة الكبيرة؟ كيف سيعاملهم؟ وكيف يتعامل مع شخصياتهم الجديدة عليه؟ ولا شك أن أسنات زوجته بنت فوطى فارع كاهن أون قد لاحظت تغير فى وجه يوسف، وجدت دهشة وإستغراب وذهول

وجمود فى وجهه وأكيد قد سألته ماذا بك؟ هل حدث شئ عكر صفوك؟ هل حدثت مشكلة سياسية؟ هل حصل تقصير فى شئ؟!

ولست أظن أن يوسف قد أجاب على تساؤلاتها لأنه كان مشغول فى تفكير عميق، ليس بسبب القمح بل بسبب إخوته، وسيناريو الحديث القادم بينهم، ظل يفكر ولا شك أنه لم يسمع أى سؤال من أسنات بنت فوطى فارع كاهن أون.

عزيزى القارئ ...

لم يكن يوسف يفكر كيف يقابل الشر بالشر؟ لا وألف لا؟ أو يفكر كيف يتلاعب بمشاعرهم؟ لا. يوسف أسمى من ذلك ولكنه يترك لنفسه فرصة ليتحدث مع الله ويسمع مشيئته، هذه هى سياسة يوسف الدائمة، ويترك نفسه أيضاً ليهدأ قليلاً ليفكر ماذا يصنع؟ تفكير يوسف ليس تفكير خارج عن مشيئة الله، ولكن الله هو الواضع مشيئته فى فكر الإنسان الداخلى ليظهر فى تصرفاته تجاه الجميع وتعامله فى الأحداث.

المهم نام يوسف هذه الليلة تؤرقه أحلامه دائماً وأبداً..

❋❋❋

(ثم قال لهم يوسف فى اليوم الثالث إفعلوا هذا وإحيوا أنا خائف الله إن كنتم أمناء فليحبس أخ واحد منكم فى بيت حبسكم وإنطلقوا أنتم وخذوا قمحاً لمجاعة بيوتكم وإحضروا أخاكم الصغير إلى فيتحقق كلامكم ولا تموتوا ، ففعلوا هكذا وقالوا بعضهم لبعض حقاً إننا مذنبون

إلى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما إسترحمنا ولم نسمع ، لذلك جاءت علينا هذه الضيقة ، فأجابهم رأوبين قائلاً ألم أكلمكم قائلاً لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا فهوذا دمه يطلب ، وهم لم يعلموا أن يوسف فاهم ، لأن الترجمان كان بينهم فتحول عنهم وبكى ثم رجع إليهم وكلمهم وأخذ منهم شمعون وقيده أمام عيونهم).

تك ٤٢ (١٨ – ٣٤)

هنا إستقر رأى يوسف وضعف أمام حُبه لأخوته وقال لهم: " أنا خائف الله " بمعنى أنا عندى ضمير مستيقظ دائماً لصوت الله، وفكر أيضاً يوسف فى إرسالهم لأبيهم بالقمح لأجل المجاعة، ولكى يأتوا أيضاً ببنيامين أخيه الصغير، وأعطاهم أيضاً فرصة لكى يثبتوا له صدق كلامهم.

عجيب جداً هؤلاء الإخوة ومشاعرهم متقلبة سريعاً، سريعاً حسوا بضيقة يوسف، هنا فهمنا ماذا يقصد يوسف بجفاءه معهم ليوصلهم إلى هذا الإحساس، إحساسهم بظلمهم إلى أخيهم الصغير الذين تراءفوا عليه وباعوه، فقط كان ممكن أن يقتلوه، أو كادوا يفعلوا ذلك لولا رأوبين.

الله عجيب جداً معهم طيلة هذه المدة الطويلة التى تقدر بـ ٢٠ عام!! لم يُجربهم الله بتجربتهم سوى مع صاحبها الذى هو يوسف!!

فالله طويل الروح جداً ورؤف ولكن إلى حين، فعدل الله لا مثيل له فمصفاة الله لا يسقط منها شئ. هم سيعانون نفسياً بسبب هذه الضيقة ولكن ليس كمعاناة يوسف التى صارت نفسية وحسية ومعنوية معاً، وحرمانه من أبيه

وعطف وإهتمام وحماية إخوته، وحياة طبيعية من دون بيع وسجن وعبودية وظلم، ولكن عجيب هو الله فى كل أحكامه وطرقه، فأصعب أنواع الخيانة هى خيانة اللحم والدم والجسد الواحد لاسيما لو شعر بها صبى صغير لا يتجاوز السابعة عشر سنة.

نرجع مرة أخرى إلى الإخوة وحديثهم الذى بدا عليه إنهم يلقون التهمة على بعض بقول رأوبين (ألم أكلمكم قائلاً لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا فهوذا دمه يطلب وهم لم يعلموا أن يوسف فاهم لأن الترجمان كان بينهم فتحول عنهم وبكى).

تك ٤٢ (٢٣ – ٢٤)

❈❈❈

ما أرق قلبك يا يوسف الرقيق ذو القلب الكبير الذى يسع الجميع (الإخوة ومصر الفرعونية والعالم كله) تحول أى لم يرهم وجه وهو يبكى، وكيف أمامهم وهو ذو السلطة الكبيرة فى مصر، ولم يعلموا أن يوسف فاهم وفى ترجمة أخرى أن يوسف سامع، ولاشك أن يوسف تأكد أن الله لم يمرر ما فعلوه به مرور الكرام بدليل أن الله دفعهم ليده، ولكن ليثبت الله أنه رحيم فى أولاده المخلصين له أمثال يوسف الصديق.

لم يأتى يوسف بالترجمان بينهم لحبك القصة عليهم، ولكنه كان موجود بحكم البروتوكول فى مقابلة أشخاص غريبة عن المجتمع المصرى وأظن أن الإخوة حينما أمر يوسف بحبسهم كانوا يتساءلون عن سبب هذه المعاملة القاسية بالرغم من عدم معرفتهم بالرجل المتحدث إليهم، وظلوا يضربون

أحماساً فى أسداس، هل يعقل أن كل شخص أو مجموعة جاءت إلى مصر لتشترى قمحاً تسجن ؟! ولماذا شك فينا هذا المصرى كل هذه الشكوك ؟!

الغريب أنه ولا واحد منهم ركز فى وجه المصرى العظيم وقارب بين شبه وشبه أخيهم الذين باعوه، والغريب فى الأمر أنه طيلة عشرون عام سابقة مدة غياب يوسف عنهم أكيد إختلفوا كثيراً فيما بينهم لأجل أمور كثيرة تتعلق بالأرض والأولاد ومشاجرات النساء وإختلاف أعمارهم وإختلاف شخصياتهم ولكن لم يتكلم واحد منهم بفضحهم أمام أبيهم وإعترافه بأن يوسف بيع ولم يفترسه وحش كما زعموا ولماذا ؟!

أقول لكم ببساطة أنه لو عرف يعقوب بهذه الخدعة والكذبة الكبيرة لكان قد لعنهم، وهم يخشون لعنه أبيهم لما تحمل فى طياتها لعنة كهنوتية كبرى مثل لعنة جدهم الكبير نوح، فهم يختلفون ويختلفون ولكن هذا الموضوع لا يمس من بعيد أو قريب لأن اللعنة كانت ستصيب الجميع فى ثورة يعقوب العارمة والغاضبة من الجميع، ولكن جاء عليهم تأنيب الله خفيفاً من قبل إنسان رحيم ورقيق القلب وخائف الله الذى هو يوسف الصديق.

المهم قيد شمعون أمام عيونهم (تك ٤٢-٢٤) ثم صنع معهم يوسف أمر طارت له العقول والقلوب، وتصرف لا يتوقع من أى رئيس ومسئول، ما هذا التصرف وما هذا الأمر العجيب؟! هذا هو حديثنا التالى...

❈❈❈

(ثم أمر يوسف أن تملأ أوعيتهم قمحاً وترد فضة كل واحد إلى عدله وأن يعطوا زاداً للطريق ففعل لهم هكذا فحملوا قمحهم على حميرهم

ومضوا من هناك فلما فتح أحدهم عدله ليعطى عليقاً لحماره فى المنزل رأى فضته وإذ هى فى فم عدله فقال لإخوته ردت فضتى وها هى فى عدلى فطارت قلوبهم وارتعدوا بعضهم فى بعض قائلين ما هذا الذى صنعه الله بنا).

تك ٤٣ (٣٥ — ٣٨)



رد يوسف فضتهم ف فم عدل كل واحد منهم، والعدل هو الجوال الموجود فيه القمح، رد يوسف فضتهم، منتهى الكرم يا أبانا يوسف الصديق، ثم لماذا هذا التصرف ؟! أظن لكى يستقطبهم له مرة أخرى ويقربهم إليه مرة أخرى ولكى يعطيهم هدية لهم ولأبيهم الذى سوف يراه قريباً!! ولأن هذه هى أول مرة يقابلهم بعد عشرين سنة من الغربة والفرقة!! وهذه هى الأولى ف

معاملاتهم مع يوسف أخيهم الغير معروف لديهم والذين يستغربون تصرفاته معهم ولكن بعد قليل سوف يجدون إجابات عن هذه الأسئلة المحيرة..

وهم فى الطريق إستأجروا منزلاً وأخرج أحدهم عليقاً لحماره فوجد فضته فى فم عدله والآخرون أيضاً ثم قالوا لبعضهم البعض: "ما هذا الذى صنع الله بنا ...؟".

❊❊❊

(فجاءوا إلى يعقوب أبيهم إلى أرض كنعان وأخبروه بكل ما أصابهم قائلين تكلم معنا الرجل سيد الأرض بجفاء وحسبنا جواسيس الأرض فقلنا له نحن أمناء لسنا جواسيس نحن إثنا عشر أخاً بنو أبينا ، الواحد مفقود والصغير اليوم عند أبينا فى أرض كنعان فقال لنا الرجل سيد الأرض بهذا أعرف أنكم أمناء ، دعوا أخاً واحد منكم عندى وخذوا لمجاعة بيوتكم وإنطلقوا وأحضروا أخاكم الصغير إلىّ فأعرف أنكم لستم جواسيس بل إنكم أمناء فأعطيكم أخاكم وتتجرون فى الأرض وإذ كانوا يفرغون عدالهم إذا صرة فضة ، كل واحد فى عدله فلما رأوا صرر فضتهم هم وأبوهم خافوا فقال لهم يعقوب أعدمتمونى الأولاد ويوسف مفقود وشمعون مفقود وبنيامين تأخذونه. صار كل هذا علىّ فكلم رأوبين أباه قائلاً إقتل إبنى إن لم أجئ به إليك سلمه بيدى وأنا أرده إليك فقال لا ينزل إبنى معكم لأن أخاه قد مات وهو وحده باقٍ فإن أصابته أذية فى

الطريق التى تذهبون فيها تنزلون شيبتى بحزن إلى الهاوية) .

تك ٤٢ (٣٩ - ٣٨)

هنا خشى يعقوب أن تصيب أذيه بنيامين إبن راحيل المحبوبة أخو يوسف، والغريب أن يعقوب فى هذه الفقرة من الكتاب المقدس قال شيئين متناقضين.. فى الأولى قال: "يوسف مفقود" والثانية: "لأن أخاه قد مات"؟!

ما أكثر حيرتك يا يعقوب، لا يعرف إن كان فقد أم مات!! فإن هؤلاء الإخوة ضللوا أباهم الكبير صاحب الوعود من الله، صاحب رؤية السلم الشهير الذى ظهر له الله فى إحدى ظهورات العهد القديم، والذى دشن أول بيت لله، والذى رباهم وتعب معهم، ضللوه ولم يعطوه أى حقيقة وهم الآن منشغلون بموضوع جديد أربك حياتهم ربكة شديدة، هنا تطوع رأوبين أن يأخذ على عاتقه حماية بنيامين وإرجاعه إلى أبيه سالماً مرة أخرى أما كلمة أعدمتمونى الأولاد يوسف مفقود وبنيامين تأخذونى وأنا إن عدمت الأولاد عدمتهم، دليل حب مميز ليوسف وبنيامين.

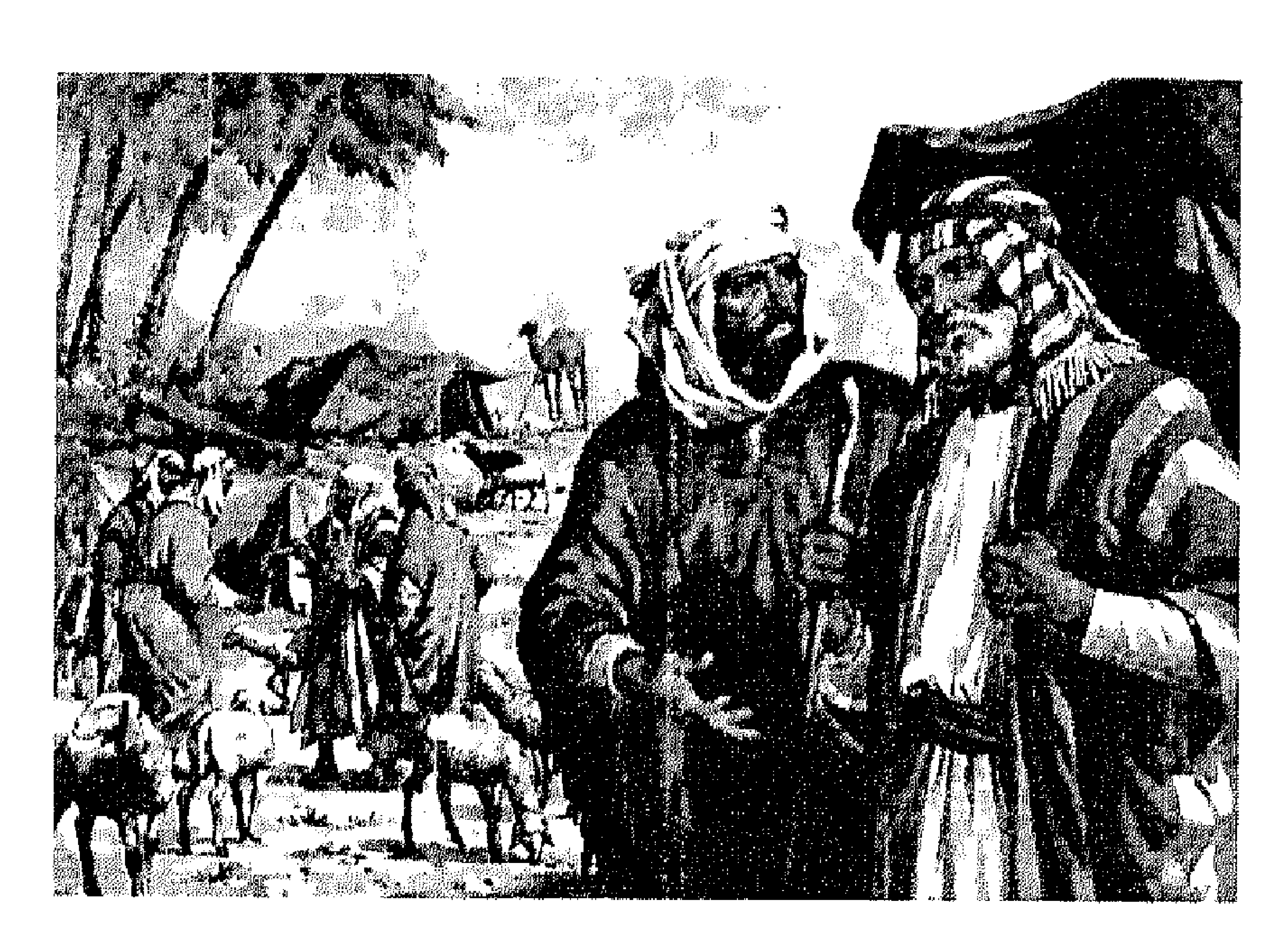
❊❊❊

(وكان الجوع شديداً فى الأرض وحدث لما فرغوا من أكل القمح الذى جاءوا به من مصر أن أباهم قال لهم إرجعوا إشتروا لنا قليلاً من الطعام فكلمه يهوذا قائلاً أن الرجل أشهد علينا قائلاً لا ترون وجهى بدون أن يكون أخوكم معكم إن كنت تُرسل أخانا معنا ننزل ونشترى لك طعاماً ولكن إن كنت لا ترسله لا ننزل لأن الرجل قال لنا لا ترون

وجهى بدون أن يكون أخوكم معكم).

تك ٤٣ (١ – ٥)

هنا أقنع هؤلاء الأولاد أبيهم بضرورة ذهابهم إلى مصر مرة أخرى برفقة أخيهم الصغير بنيامين، وخيروه بين الموت جوعاً وذهاب بنيامين معهم، لقد إحتار أبو الأسباط يعقوب فى هذا الأمر الغريب لأن قلبه كان مرتاب بسبب خوفه على بنيامين وبسبب حادثة فقدان يوسف أو بالحرى موته كما أعلمه بنوه أو بالحق كذبوا عليه !!!



❖❖❖

(فقال إسرائيل لماذا أسأتم إلىَّ حتى أخبرتم الرجل إن لكم أخاً أيضاً فقالوا إن الرجل قد سأل عنا وعن عشيرتنا قائلاً هل أبوكم حى بعد، هل لكم أخ فأخبرناه بحسب هذا الكلام هل كنا نعلم أنه يقول إنزلوا

بأخيكم).

تك ٤٣ (٦ – ٧)

كذبة أخرى كذب بها أولاد يعقوب على أبيهم، الكذبة هي الآتـي: أن يوسف الصديق لم يسألهم هل أبوكم حي؟! ولا سأل هل لكم أخ ؟!

المتابع لنص الكتاب المقدس يكتشف أن أسئلة يوسف لإخوته لا أساس لها من الصحة.. بل هي من مخترعات الاخوة.

يوسف الصديق قال فقط: "إنكم جواسيس أتيتم لتبصروا عورة الأرض فوحيوة فرعون إنكم لجواسيس" لم يذكر لهم هل أبوكم حي؟ ولا سأل هل لكم أخ؟!

هذه أسئلة مفتعلة من الإخوة، ولا أدرى لماذا هذه الكذبة الغريبة؟ أظن أن سببها هو إقناع أبيهم بضرورة ذهاب بنيامين معهم، وختموا هـذه الكذبـة بقولهم هل كنا نعلم أنه يقول أنزلوا بأخيكم..

❈❈❈

(وقال يهوذا لإسرائيل أبيه أرسل الغلام معى لنقوم ونذهب ونحيا ولا نموت نحن وأنت وأولادنا جميعاً ، أنا أضمنه ، من يدى تطلبه إن لم أجئ به إليك وأوقفه قدامك أصر مُذنباً إليك كل الأيام لأننا لو لم نتوان لكنا قد رجعنا الآن مرتين فقال لهم إسرائيل أبوهم إن كان هكذا فإفعلوا هذا خذوا من أفخر جنى الأرض فى أوعيتكم وإنزلوا للرجل هدية قليلاً من البلسان وقليلاً من العسل وكثيراء ولاذناً وفستقاً ولوزاً وخذوا فضة أخرى فى أياديكم والفضة المردودة فى أفواه عدالكم

ردوها فى أياديكم لعله كان سهواً وخذوا أخاكم وقوموا إرجعوا إلى الرجل والله القدير يعطيكم رحمة أمام الرجل حتى يطلق لكم أخاكم الآخر وبنيامين وأنا إذا عدمت الأولاد عدمتهم).

تك ٤٣ (٨ – ١٤)

إقتنع أخيراً أبو الأسباط يعقوب بإرسال بنيامين معهم ولكن يعقوب كعادة أبائه لا يوقف أولاده أمام الرجل المصرى " يوسف إبنه " فارغين بل أمرهم يعقوب بأن يأخذوا من جنى الأرض هدية للرجل، ولكن ما هى هذه الأشياء .. قليلاً من البلسان والعسل وكثيراء ولاذناً وفستقاً ولوزاً.

وقال لهم خذوا أيضاً معكم الفضة لعله كان سهواً، ودعا يعقوب لهم: والله القدير يعطيكم رحمة أمام الرجل حتى يطلق لكم أخاكم المسجون وبنيامين، سمع الإخوة هذه الدعوة من فم أبيهم ولكن عقلهم كان شارداً فى أمر أخر، وهم كبير وهو مقابلة الرجل المصرى مرة أخرى، كيف سيكون اللقاء؟! كيف سيعاملنا هذه المرة؟! وما هى حكاية هذا الرجل معنا؟! ولماذا نحن نعامل بهذه الطريق؟! سنرى سنرى...

✠✠✠

(فأخذ الرجال هذه الهدية وأخذوا ضعف الفضة فى أياديهم وبنيامين وقاموا ونزلوا إلى مصر ووقفوا أمام يوسف فلما رأى يوسف بنيامين معهم قال للذى على بيته أدخل الرجال إلى البيت وإذبح ذبيحة وهيئ لأن الرجال يأكلون معى عند الظهر ففعل الرجل كما قال يوسف وأدخل

الرجل الرجال إلى بيت يوسف) .

تك ٤٣ (١٥ — ١٧)

هذه هي أول مرة يرى يوسف بنيامين أخيه بعد غياب أكثر من عشرون عاماً، لاشك أن يوسف قد عرفه بعد غياب كثير بروح الله الساكن فيه، وأظن أن نقطة ضعف يوسف هو بنيامين وحينما رأه يوسف أمر الذى على البيت أن يذبح ذبيحة، وطبعاً ذلك على شرف وصول بنيامين أرض مصر، ولكن يوسف حينما رأه لم يترك نفسه مع نفسه لئلا ينهار أمامهم من فرط حبه لبنيامين أخيه الشقيق..

❈❈❈

(فخاف الرجال إذ أدخلوا إلى بيت يوسف وقالوا لسبب الفضة التى رجعت أولاً فى عدالنا نحن قد أدخلنا ليهجم علينا ويقع بنا ويأخذنا عبيداً وحميرنا فتقدموا إلى الرجل الذى على بيت يوسف وكلموه فى باب البيت وقالوا إستمع يا سيدى إننا قد نزلنا أولاً لنشترى طعاماً وكان لما أتينا إلى المنزل إننا فتحنا عدالنا وإذا فضة كل واحد فى فم عدله فضتنا بوزنها فقد رددناها فى أيدينا وأنزلنا فضة أخرى فى أيادينا لنشترى طعاماً لا نعلم من وضع فضتنا فى عدالنا) .

تك ٤٣ (١٨ — ٢٢)

حالاً دخل الخوف قلوبهم من عزومة فى بيت المصرى، ثم بدءوا يبدون الأسباب من دون أن يسألهم أحد، هذه هى طبيعة إجابتهم فى مصر.

إجابات دائمة وبدون أسئلة، وذلك طبعاً من خوفهم الشديد، فالإنسان عندما يخاف لا يدرى ما يقول أو كيف يفكر، ودائماً سوء الظن متوفر لديهم وبكثرة، ظنوا أن الرجل وضع لهم فخاً ليقتلهم!! ولماذا يقتلهم وهو قال: "أنا خائف الله" ؟! وماذا صنعوا ليقتلهم؟!.

لم يفكروا فى أى من هذه الأسئلة، المهم أثبتوا برائتهم برد الفضة الموضوعة فى عدالهم، وفضة أخرى ليشتروا طعاماً أيضاً، وقالوا: "لا نعلم من وضع فضتنا فى عدالنا".

❈❈❈

(فقال سلام لكم لا تخافوا إلهكم وإله أبيكم أعطاكم كنزاً فى عدالكم. فضتكم وصلت إلىَّ. ثم أخرج إليهم شمعون وأدخل الرجل الرجال إلى بيت يوسف وأعطاهم ماء ليغسلوا أرجلهم وأعطى عليقاً لحميرهم وهيأوا الهدية إلى أن تجئ يوسف عند الظهر لأنهم سمعوا إنهم هناك يأكلون طعاماً).

تك ٤٣ (٣٣ – ٣٥)

صدقونى العدد الثالث والعشرون من الإصحاح ٤٣ من سفر التكوين هو الكشف الحقيقي عن شخصية يوسف الحقيقية.

أولاً أنظروا تأثير يوسف الروحي على مدير بيته بقوله: "سلام لكم لا تخافوا" هذه الكلمة غريبة جدا على المجتمع الفرعونى القديم ولكن هذا من تأثير يوسف على الجميع، أصبحوا يتكلمون بشخصه وبلسانه، وظهرت سمات يوسف

عليهم وذلك من عشرته معهم.

ماذا قال مدير بيته "لا تخافوا، إلهكم وإله أبيكم أعطاكم كنزاً في عدالكم، فضتكم وصلت إليّ" بمعنى هذه هدية من يوسف بذكر "كنزاً في عدالكم" وجملة "فضتكم وصلت إليّ" أي أن يوسف سدد ثمن القمح نيابة عنكم أي بمرتبه الخاص وهذا منتهى الأمانة من يوسف، فليس لأنه المسيطر على مخازن القمح وكل شيء في يده، وإنه يبدد هذا القمح فعدة أجوال من القمح لا تساوى شيئاً بالنسبة لترك العدد في القمح، ولكن هذه هي أمانة يوسف المطلقة، فيوسف أمين إلى أبعد الحدود لذلك إختاره الله ليكون على كل شعب مصر وأعطاه هذا المركز السامي العظيم وأعطاه من أجل أمانته حكم شعب عظيم وإنقاذ العالم من الجوع والتشرد والموت، عظيمة هي أمانتك يا يوسف الصديق فلتهنئ مصر بحكمك.

❈❈❈

(فلما جاء يوسف إلى البيت أحضروا إليه الهدية التي في أياديهم إلى البيت وسجدوا له إلى الأرض فسأل عن سلامتهم وقال أسالم أبوكم الشيخ الذي قلتم عنه أحي هو بعد فقالوا عبدك أبونا سالم هو حي بعد وخروا وسجدوا).

تك ٤٣ (٣٦ – ٣٨)

أحضروا معهم هدية كوصية أبيهم يعقوب في أيديهم لعل الهدية تترضى وجهه، ليس على سبيل الرشوة ولكنها هدية تحابي للرجل الكبير، والعجيب في

الأمر هو إنهم سجدوا له على الأرض وكل يوم تتحقق الأحلام بسجودهم إليه فهذه هى إرادة الله!! المهم سأل يوسف عن أبيهم الشيخ الكبير يعقوب الذى هو أبيه فقالوا: "عبدك أبونا سالم، هوحى بعد وسجدوا مرة أخرى"! ما هذا التكرار فى السجود..

❊❊❊

(فرفع عينيه ونظر بنيامين أخاه إبن أمه وقال أهذا أخوكم الصغير الذى قلتم لى عنه ثم قال الله ينعم عليك يا إبنى وإستعجل يوسف لأن أحشاؤه حنت إلى أخيه وطلب مكاناً ليبكى فدخل المخدع وبكى هناك).

تك ٤٣ (٢٩ – ٣٠)

هذه هى أول مرة يرى يوسف الصديق أخيه بنيامين الصغير، وإستفسر يوسف منهم أهذا أخوكم الصغير؟! ثم باركه يوسف الصديق قديسنا العظيم ومحتمل الآلام ومحتمل الظلم ذو القلب الكبير قائلاً: "الله ينعم عليك يا إبنى" عجيب جداً يا يوسف الصديق.. فى الفاظك.. وأقوالك.. وفى مباركتك أيضاً. وإستعجل هنا بمعنى أى هزم من نفسه وحنت أحشاؤه لأنه لم يتماسك أمام مشاعره أمام اخيه إبن أمه راحيل الجميلة، محبوبة يعقوب أبو الأباء.

توجد رابطة محبة شديدة بين يوسف وبنيامين أولاد الرحم الواحد ولاشك أن بنيامين يُذكر يوسف دائماً براحيل ويعقوب أبيه والأسرة الجميلة التى تضم الأب والأم والإبنين المحبوبين، فتمنى يوسف فى هذه اللحظة أن يضم بنيامين إلى

صدره وقلبه، وفى هذه اللحظة كان سيضم ليس بنيامين فقسط بسل راحيسل ويعقوب أبيه الذين هم كل ماله فى هذه الدنيا مع أسنات زوجته وولديه أفرايم ومنسى، أراد يوسف أن يشفى غليل هذه السنين حباً لبنيامين ولكن حستى فى حبه ومشاعره صار وحيداً فطلب مكاناً ليبكى فدخل المخدع وبكى.

ما الذى يبكيك؟!.. أهو حب أخيك بنيسامين؟! أم إشستياقك ليعقسوب أبيك؟! أم تذكرك لأمك راحيل؟! أم جفاء إخوتك وكرههم لك؟! بدون أى أسباب دافعة لذلك لست أدرى..

المهم أن يوسف أخرج شحنة الحب من قلبه فى صورة بكاء عجيب ، أن البكاء كان نتيجة الحب الشديد. ولا شك أيضاً أن بنيامين كان كثير الشبه بينه وبين راحيل أمه، وذلك ذكره بأمه التى ماتت وهو صبى صغير، لم يتمتع بحنانها ورعايتها له، بكى يوسف لأجل أمور كثيرة متداخلة ومتشابكة..

❋❋❋

(ثم غسل وجهه وخرج وتجلد وقال قدموا طعاماً. فقدموا له وحده ولهم وحدهم وللمصريين الآكلين عنده وحدهم لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين فجلسوا قدامه البكر بحسب بكوريته والصغير بحسب صغره فبهت الرجال بعضهم إلى بعض ورفع حصصاً من قدامه إليهم فكانت حصة بنيامين أكثر من حصص جميعهم خمسة أضعاف وشربوا ورووا معه).

تك ٤٣ (٣١ – ٣٤)

قام يوسف من بكائه وغسل وجهه وتجلد أى تقوى أمامهم، كيف يكون بهذا المركز العالى ويبكى؟!.. أقول لكم المناصب لا تقتل المشاعر بل تدفعها وتقويها، وإلا يكون الإنسان ميت من مشاعره حى فى منصبه وهذا الأمر أظن إنه ليس ضعف فى شخصية يوسف. فقوة يوسف فى بكائه وعطفه ورقة قلبه. دخل يوسف وقال قدموا طعاماً فقدموا له وحده لأنه الرئيس. وهذه هى تقاليد الفراعنة للرؤساء وللمصريين الأكلين فى بيته وحدهم، وذلك لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين. تخيلوا هذا المنظر الغريب، أجلسهم يوسف بحسب ترتيب أعمارهم، ومن يعرف أعمار رجال متشابهة، أعمار لا يفصلها سوى شهور أو أيام، لأنه ليس أولاد زوجة واحدة بل أولاد أربع زوجات، ومن يعرف تفاصيل هذه الأعمار من أجل ذلك يهتم الغريب، أن يوسف أجلسهم قدامه ليترك لهم الفرصة لكى يعرفوه بأنفسهم ولكن أمسكت أعينهم عن أن يعرفوه، والغريب أن يوسف رفع حصصاً من قدامه ووضعها أمام بنيامين!!

لماذا يا يوسف هذه التفرقة بين الإخوة وأنت الذى دفعت ثمن تمييز الأولاد؟ هنا أراد يوسف أن يلفت نظرهم إلى أنه أخوهم بطريقة غير مباشرة، فيوسف صاحب الأحلام وأيضاً صاحب الألغاز ويجيد أيضاً التعبير ما بين السطور ووراء السطور، لغة لا يعرفها الكثيرين. يختتم هذا الإصحاح بشربوا ورووا معه أى وُجد بعض التقارب بينهم وبين الرجل وهذا طبعاً من وجهة نظرهم فقط لأن القصة لم تنتهى بل لازال باقى منها فصول وفصول.......

❈❈❈

(ثم أمر الذى على بيته قائلاً إملأ عدال الرجال طعاماً حسب ما يطيقون حمله. وضع فضة كل واحد فى فم عدله وطاسى طاس الفضة تضع فى فم عدل الصغير وثمن قمحه ففعل بحسب كلام يوسف الذى تكلم به فلما أضاء الصبح انصرف الرجال هم وحميرهم ولما كانوا قد خرجوا من المدينة ولم يبتعدوا قال يوسف للذى على بيته قم إسع وراء الرجال ومتى أدركتهم فقل لهم لماذا جازيتم شراً عوضاً عن خير أليس هذا هو الذى يشرب سيدى فيه وهو يتفاءل به أسأتم فى ما صنعتم).

تك ٤٤ (١ - ٥)

يوسف الصديق كما إعتدنا عليه من الإصحاح السابق صنع لهم مع الوليمة حيلة جديدة لماذا يوسف صنع لهم هذه الحيلة الغريبة ؟؟!

أراد يوسف إرجعاهم وأن يضعهم فى بوتقة التجارب الحقيقية التى لا تحوى داخلها أى شر ولا أى ضرر بل أراد يوسف أن يمتحن مشاعرهم تجاه أخيهم الصغير، أيفرطون فيه أم لا؟! أيكرهون الصغار أم هو فقط؟! ما مدى تمسكهم ببنيامين وما هى مشاعرهم تجاهه؟! وهل ندموا على فعلتهم معه وأرادوا تصحيحها مع بنيامين أم لا؟؟

نرجع إلى القصة.. أمر يوسف رجاله أن يضعوا فضتهم مرة أخرى معهم وكأسه كأس الفضة فى فم عدل بنيامين، وثمن قمحه وحينما خرجوا قليلاً من مصر، أمر يوسف بأن يسعوا ورائهم ويقولوا لهم: " لماذا جازيتم شراً عوضاً

عن خير؟!" أليس سيدى يتفائل به أسأتم فيما صنعتم!!

الفراعنة لهم عادات غريبة وعجيبة، فالفراعنة لهم كؤوس وطسوس يشربون فيها، غالباً ما تكون من الذهب أو الفضة، وهذه الكؤوس والطسوس كانوا السحرة والعرافين يتلون عليها قراءتهم الخاصة وتعاويذهم الغير مفهومة لتكون فالاً بالخير لسيدهم صاحب الكأس والطأس.

لم يكن يوسف الصديق الساكن فيه الله وروحه المدبرة لحياته والمدبرة لمصر كلها يؤمن بهذه الأشياء الخارجة عن مشيئة الله من العرافه والسحر بالرغم من وجوده وسط هذا المجتمع الغريب بعاداته ولكن يوسف كان أقوى من مصر بكل عاداتها وتفائلها وسحرها.

❈❈❈

(فأدركهم وقال لهم هذا الكلام فقالوا له لماذا يتكلم سيدى مثل هذا الكلام حاشا لعبيدك أن يفعلوا مثل هذا الأمر هوذا الفضة التى وجدنا فى أفواه عدالنا رددناها إليك من أرض كنعان فكيف نسرق من بيت سيدك فضة أو ذهباً الذى يوجد معه من عبيدك يموت ونحن أيضاً نكون عبيداً لسيدى فقال نعم الآن بحسب كلامكم هكذا يكون الذى يوجد معه يكون لى عبداً وأما أنتم فتكونون أبرياء. فإستعجلوا وأنزلوا كل واحد عدله إلى الأرض وفتحوا كل واحد عدله ففتش مبتدئاً من الكبير حتى إنتهى إلى الصغير فوجد الطاس فى عدل بنيامين فمزقو

ثيابهم وحمل كل واحد على حماره ورجعوا إلى المدينة) .

تك ٤٤ (٦ ، ١٣)



طبعاً إنزعج الإخوة من مرسال الوزير الحامل إليهم تهمة جديدة وإتهام سرقة من قصر الوزير الفرعونى، وبرروا برائتهم بإنهم وجدوا قبلاً فضتهم على سبيل الخطأ وردوها إلى الرجل سيد الأرض فكيف تسرق فضة أو ذهب أو كؤوس؟! وكالعادة إستعجلوا ووقعوا على أنفسهم عقوبات ووعود كثيرة، وقال الذى يوجد معه من عبيدك يموت ونحن أيضاً نكون عبيداً لسيدى وذلك لوثوقهم من أنفسهم! أنه لا يوجد بينهم سارق، ووضعوا أنفسهم عبيداً له!! فقال المرسل إليهم من يوسف: "نعم الآن بحسب كلامكم هكذا يكون الذى يوجد معه يكون لى عبداً أما أنتم فتكونون أبرياء " !

إنتهى هنا الحديث وجاء دور التفتيش، فأنزلوا كل واحد عدله إلى الأرض وألقوا ما فيه من أشياء وذلك بالدور والترتيب من كبيرهم إلى صغيرهم ولما

وصلوا إلى الصغير بنيامين وُجد الطأس فى عدله فصدمتهم المفاجأة، لم يهتموا بأن بنيامين سرق أم لم يسرق ولكن فكروا فى فقدانه، وماذا يقولون هذه المرة ليعقوب!! فمزقوا ثيابهم وبكوا أيضاً .. وتكلموا بين أنفسهم ما هذا الذى يحدث لنا؟! وما هو الموقف وما هى ملابساته، فأمر القائد المرسل خلفهم الحراس بأن يقتادوه إلى مصر مرة أخرى ومن ثم إلى قصر الوزير ومن ثم يبدأ فصلاً جديداً فى قصتهم الشهيرة مع الوزير الغامض الذى يختفى من وراء ملابسه الفرعونية الجميلة شخصية سوف يكتشفونها أو بالأحرى سوف تتضح لهم أمور أخرى أشد غرابة ومفاجأة.

❊❊❊

(فدخل يهوذا وإخوته إلى بيت يوسف وهو بعد هناك ووقعوا أمامه على الأرض فقال لهم يوسف ما هذا الفعل الذى فعلتم ألم تعلموا أن رجلاً مثلى يتفاءل فقال يهوذا ماذا نقول لسيدى ماذا نتكلم وبماذا نتبرر الله قد وجد إثم عبيدك ها نحن عبيد لسيدى نحن والذى وُجد الطاس فى يده جميعاً فقال حاشا لى أن أفعل هذا الرجل الذى وجد الطاس فى يده هو يكون لى عبداً وأما أنتم فاصعدوا بسلام إلى أبيكم).

تك ٤٤ (١٤ – ١٧)

مازال يوسف واقفاً يباشر أعماله ويتكلم مع الوفود القادمة إلى مصر ولكن عقله مازال شارداً وروحه عالقة بإخوته، ينتظرهم فى شوق ولهفة وحب، أخيراً وصلوا الإخوة متكدرين من هذه التهمة ويجرون أزيال الخيبة والتهمة،

بنيامين لم يستوعب الموقف وذلك من هول هذه التهمة!!

بنيامين يسرق كيف؟! وإن لم يسرق فمن وضع هذه الكأس فى فم عدله؟! ولماذا بنيامين بالذات من بين عشرة إخوة؟! المهم دارت هذه الأسئلة فى أذهانهم ودارت معهم الدنيا وقرروا بأن يتكلم يهوذا نيابة عنهم جميعاً، ودخلوا إلى بيت يوسف وهو بعد هناك فى إنتظارهم وسجدوا أمامه مرة أخرى منهم سيمروا أمامه مرراً فبادرهم يوسف بالعتاب: "ما هذا الفعل الذى فعلتم؟ ! ألم تعلموا أن رجلاً مثلى يتفائل" فقال يهوذا: "ماذا نقول لسيدى وماذا نتكلم ولماذا نتبرر الله وجد إثم عبيدك".

لماذا قالوا هذه الجملة "الله وجد إثم عبيدك" وكأن الله أنطقهم هذه الجملة لكى يسمعها يوسف ويعلم أن الله لا يترك شاردة أو واردة فى حياة الإنسان إلا ويدفع الإنسان ثمنها خيراً كانت أم شراً ولكى يعلنوا توبة قدام ضحيتهم وهم لا يعرفونها، وجرح يهوذا بالقول الآتى موقعاً على نفسه وعلى إخوته عقوبة عادلة بالنسبة لهذه التوبة فقال: "هانحن عبيد لسيدى والذى وجد الطاس فى يده جميعاً" وذلك لعل الرجل يترائف عليهم ويرحمهم حينما يضعون أنفسهم كلهم فى يده، ففهم يوسف تلك الجملة وقال مباشرة: "حاشا لى أن أفعل هذا الرجل الذى وُجد الطاس فى يده هو يكون لى عبداً أما أنتم فإذهبوا بسلام إلى بيتكم وبيت أبيكم".

❈❈❈

(ثم تقدم إليه يهوذا وقال إسمع يا سيدى . . ليتكلم عبدك كلمة فى

أذنى سيدى ولا تحم غضبك على عبدك لأنك مثل فرعون سيدى سأل عبيده قائلاً هل لكم أب أو أخ فقلنا لسيدى لنا أب شيخ وإبن شيخوخة صغير مات أخوه وبقى هو وحده لأمه وأبوه تحبه) .

تك ٤٤ (١٨ - ٣٠)

لما لم يجد يهوذا المتحدث بأسمهم بدأ من تواضعهم أمامه بدأ وبالغرابة بالكذبة التى إختلقوها أمام يعقوب أبيهم بقوله سيدى سأل عبيده قائلاً: "هل لكم أب وأخ؟" .

يوسف الصديق أيها القارئ العزيز لم يسألهم هل لكم أب ولا سألهم هل لكم أخ لأنه لو سألهم هذان السؤالان لكان قد كشف عن شخصيته، لأن هذان السؤالان خاصان بحياته الشخصية!

يوسف الصديق قال لهم: "إنكم جواسيس إنما أتيتم لتبصروا عورة الأرض وحيوه فرعون إنكم لجواسيس" لكن لم يسألهم أى أسئلة أخرى!!

هم أجابوا بدون أسئلة، المهم أجاب يهوذا بشرح موقف الأخ الصغير، المقصود هو بنيامين، وإستفاض بالشرح إنه أخ لأخ قد مات وهو وحده لأمه وأبيه متعلق به وطبعاً ذلك لأنه إبن راحيل المحبوبة وأخو يوسف الذى مات أو مفقود من وجهة نظرهم.

(فقلت لعبيدك إنزلوا به إلىّ فأجعل نظرى عليه فقلت لسيدى لا يقدر الغلام أن يترك أباه وإن ترك أباه يموت فقلت لعبيدك إن لم ينزل أخوكم الصغير معكم لا تعودوا تنظرون وجهى فكان لما صعدنا إلى عبدك

أبى أننا أخبرناه بكلام سيدى ثم قال أبونا إرجعوا إشتروا لنا قليلاً من الطعام فقلنا لا نقدر أن ننزل وإنما إذا كان أخونا الصغير معنا ننزل عبدك لا نقدر أن ننظر وجه الرجل وأخونا الصغير ليس معنا فقال لنا عبدك أبى أنتم تعلمون أن إمرأتى ولدت لى إثنين فخرج الواحد من عندى وقلت إنما هو قد أفترس إفتراساً ولم أنظره إلى الآن فإذا أخذتم هذا أيضاً من أمام وجهى وأصابته أذية تنزلون شيبتى بشر إلى الهاوية فالآن متى جئت إلى عبدك أبى والغلام ليس معنا ونفسه مرتبطة بنفسه يكون متى رأى أن الغلام مفقود أنه يموت فينزل عبيدك شيبة عبدك أبينا بحزن إلى الهاوية لأن عبدك ضمن الغلام لأبى قائلاً إن لم أجئ به إليك أصر مذنباً إلى أبى كل الأيام فالآن ليمكث عبدك عوضاً عن الغلام عبداً لسيدى ويصعد الغلام مع إخوته لأنى كيف أصعد إلى أبى والغلام ليس معى لئلا أنظر الشر الذى يصيب أبى) .

تك ٤٤ (٣١ — ٣٤)

مسكين يهوذا.. وضعه سيئ إلى أبعد الحدود.. ومطالب أيضاً بشرح قصة معقدة إلى أبعد الحدود.. وما أكثر التفاصيل.. وتفاصيل التفاصيل.. وماذا يصنع وماذا يقول؟! ظل يشرح موقفهم وحب أبيه لبنيامين وإنه إبن شيخوخته وأن له أخ مات وإنه مطالب أمام أبيه برد الإبن الصغير إليه وتفاصيل وتفاصيل لا أريد أن أطول فى شرحها، المهم أنه من المستحيل أن يترك بنيامين بالذات

وعوض عنه بنفسه عبداً للرجل المصرى إلى الأبد حتى لا يرى أبيه يترل بحزن إلى الهاوية.

نحن هنا على بعد لحظات من اللقاء الشهير، اللقاء الذى يسيل الدموع رغماً عن الإنسان وذلك طبعاً من حنان يوسف وعطفه وعدم إحتماله هذه الحبكة التى أوقعها يوسف فى أنفسهم لتمحيصهم.

فيوسف الصديق ليس رجل القصص والمواقف، وليس بالرجل الذى يوُقع الآخرين فى شر أعمالهم، ليس هكذا، لو كان يوسف من هذا النوع من الناس لما أعطاه هذه المكانة، ولا هذا المنصب العالى، فالأمين فى القليل أمين أيضاً فى الكثير!

⁜⁜⁜

(فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده فصرخ أخرجوا كل إنسان عنى. فلم يقف أحد عنده حين عرف يوسف إخوته بنفسه. فأطلق صوته بالبكاء. فسمع المصريون وسمع بيت فرعون. وقال يوسف لإخوته أنا يوسف. أحى أبى بعد. فلم يستطع إخوته أن يجيبوه لأنهم إرتاعوا منه).

(تك٤٥ : ١-٣)

يوسف الصديق.. صاحب أقوى نفسية ممكن أن تضبط نفسها فى بيت فوطيفار، وفى بيت السجن، وفى العبودية عموماً ولكن أمام إخوته لحمه ودمه ومشاعر الحب الدفينة فى صدره يقول الكتاب: "لم يستطع أن يضبط نفسه

وإجهشت نفسه وروحه ووجدانه بالبكاء".. فلم يستطيع أن يحتمل ضغط الأعصاب هذا.

وتُرجمت هذه المشاعر فى صورة دموع، ودموع يوسف دموع سخينة فيها كل مشاعر الحب وروابط اللحم والدم.

فى كتابات الأباء عن الدموع، هناك قول جميل جداً عن دموع الإنسان فيقول القول: "الدموع هى المشاعر كلها مذابة فى نقطة".

فمشاعر يوسف هى تجسيد لمشاعر الإنسان الأصلية، الدموع هى ترجمة لكل مشاعر الحب، فيوسف فى هذه الحالة لا يعرض مشاعره قدام الآخرين فأخرج كل الواقفين حوله من حراس ووزراء ووفود ومترجمين، أخرج الجميع بأمر من فمه الذى تلعثم وهو يُخرج هذه الكلمات القليلة، وكانت شفتى فمه ترتعش وهى تُخرج هذه الحروف، فلم يقف أحد عنده حين عرف يوسف إخوته بنفسه.



هكذا قال الكتاب مشدداً على إظهار مشاعر يوسف الجياشة، المهم خرج الجميع وهنا أطلق يوسف عينيه وصوته بالبكاء والغريب أن صوت بكائه وصل إلى المصريين وسمع بيت فرعون.

ألهذا الحد يا يوسف؟! إنفجرت هذه الدموع مثل البركان الذى يقفز

دموع ومشاعر وحب، وقال يوسف هنا قوله الشهير لأخوته "أنا يوسف" هذه الكلمة أو هذا التعريف بشخصه تقشعر له الأبدان والشعور لأنها حملت طياتها تعريف بشخصه، وعتاب، ولوم ممزوج بالعطف، والحرمان من حب الإخوة وعطفهم، والعيش فى جو أسرى جم حُرم منه يوسف طيلة عشرين عاماً..

فدموع يوسف لاشك من صوتها إنها زلزلت مصر كلها وهزت نيلها وتموجت مياهه.. ذلك النيل الذى بسببه أتى هؤلاء الإخوة، وإهتزت أثار مصر الفرعونية، فإن إهتزت السماء من مشاعر هذا العفيف الطاهر أفلا تهتز القصور الفرعونية من صوت مدبرها ومنقذها من الجوع والموت..! أفلا تشاركه مشاعره الجياشة..!

وفيما يبكى يوسف وهو فى وسط هذه المشاعر العنيفة التى ينسى فيها الإنسان كل شئ سألهم سؤالاً فى وسط هذه المشاعر القوية: "أحى أبى بعد ؟ !".

عجيب أنت يا يوسف!!

لم ينسى هذا الآب الكبير الذى حُرم من حنانه ورعايته وعطفه وتربيته. والتى قامت بتربيته هى مصر الفرعونية القديمة عوضاً عن أبيه وإخوته ولكنه دفع ثمن هذه الإبوة المستعارة من مصر والتى أصبحت جزءاً من تاريخه ومن حياته.

سأل يوسف أول كل الأشياء عن أبيه جيداً، اطمأن قلبه على بنيامين، ووقف لاشك بين يديه وأسرع من بين إخوته يحتضن يوسف ويُقبل ملابسه الفرعونية وهو يبكى أيضاً .. وأصبحت هنا ملحمة بكاء شديدة من أثرها سمع

صوتها فى بيت فرعون .. هنا ألجمت ألسنة إخوته وأظن أغلب الظن أن الإخوة من فرط دهشتهم حتى تجمدت عيونهم وفغرت أفواههم ولم ينظروا حتى إلى بعضهم البعض إلا بعد فترة حين إستفاقوا من صدمتهم!!

ولم يجدوا جواب ولم يتكلموا لأنهم إرتاعوا منه أى خافوا منه. ولكن يدور فى عقلى سؤال! أظن إنه سؤالكم جميعاً ماذا كان يدور فى عقلهم وفى أفكارهم؟!

دارت فى أفكارهم هذه الأسئلة:

أحقاً هذا يوسف الذى إسترحمنا ولم نرحمه؟!

أهذا هو الولد الصغير الذى بعناه إلى الإعراب وهو يبكى بين أيدينا ويقبلها ألا نبيعه أو نتركه؟!

أهو ذلك الصبى الذى لم نلتفت إلى تضرعاته إلينا ولم نلتفت إلى بكائه الطفولى؟!

أهذا هو الصبى الصغير الذى بعناه إلى الإسماعيليين النازلين إلى مصر؟! أهذا هو الذى أغرقنا قميصه فى دم إحدى الذبائح وقدمناه إلى أبينا بخدعة كبيرة؟!

ماذا نفعل الآن؟!.. أو بالأحرى ماذا سيفعل بنا يوسف ؟!!

هذا ما فكروا به، لم يفكروا كما فكر صاحب السيرة العطرة. هم فكروا، كيف سينتقم يوسف منا؟ ومتى سينتقم؟.. هم فكروا فى شئ واحد وهو كيف سيرد يوسف الظلم؟ ومتى؟.. لأنه على أغلب الظن ترجموا دموعه ليس بحب.. ولكن ترجموها إنهم وقعوا فى يده.. وهى ليس كما تركوها أو بالأحرى قيدوها، ولكنها يد وقبضة حديدية كبيرة.

ظنوا إنها سوف تنتقم منهم جميعاً إنتقاماً قوياً وسريعاً، إرتاعوا منه أى

خافوا منه، ليس هناك عقوبة أقسى من خوفهم منه وتوقعهم الشر من قبلــه.. فى أى وقت.. الآن؟! أم بعد قليل؟! أم ماذا؟! (السجن - القتل - التشريد - أذى- أم تعذيب) على أيدى المصريين الأشداء أصحاب الفنــون فى القتــال والتعذيب.. ياترى ماذا سيصنع بنا يوسف؟! هذا ما قاله الإخوة المقيدين مــن أنفسهم فى هذا الفكر، ونحن أيضاً نتسائل ماذا ستصنع معهم يا يوسف؟! ماذا قال الكتاب بعد أن إرتاعوا منه ..

❈❈❈

(فقال يوسف لإخوته تقدموا إلى. فتقدموا. فقال أنا يوسف أخوكم الذى بعتموه إلى مصر. والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتمونى إلى هنا. لأنه لإستبقاء حيوة أرسلنى الله قدامكم. لأن للجوع فى الأرض الآن سنتين. وخمس سنين أيضاً لا تكون فيها فلاحة ولا حصاد. فقد أرسلنى الله قدامكم ليجعل لكم بقية فى الأرض وليستبقى لكم نجاة عظيمة).

تك٤٥ (٤-٧)

ما أجمل هذه الفقرة من الكتاب المقدس .. تتجسد فيها أسمى معانى الحب والغفران وأجمل معانى التسامح وحب الإخوة ..

يوسف الصديق هنا يبدأ بالمبادرة لأنه عارف نفــسيتهم قــائلاً "تقدموا إلى" ! !

تقدموا هنا ما أجملها كلمة بمعنى إقتربوا منى، لا تخافوا منى ولا من مهابتى

ولا من سلطتي ولا من شخصيتي الجديدة عليكم ..

فتقدموا فقال: "أنا يوسف أخوكم ! ! " .. لأن يوسف رآهم مضطربين فأراد أن يؤكد لهم شخصيته بقوله: "أنا يوسف أخوكم الذى بعتموه إلى مصر ! ! " .. وهنا أراد يوسف أن يؤكد لهم أفكارهم بأنه هو الذى باعوه إلى مصر لأن هذا السر هم الذين يعرفوه فقط.

والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتموني إلى هنا لأنه لإستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم!!

ثم بدأ يوسف يشرح لهم أن للجوع سنتين والباقي أيضاً خمس سنوات، فقد أرسلني الله قدامكم ليجعل لكم بقية فى الأرض وليستبقى لكم نجاة عظيمة.

هنا أراد يوسف الصديق أن يخفف عنهم وطأة شعورهم بالذنب تجاهه بقوله: "أرسلنى الله قدامكم لم ترسلونى أنتم إلى هنا بل الله" هذا هو مقصوده وليستبقى لكم نجاة عظيمة، لأن فعلاً وجود حياة وسط الجوع العنيف هذا كان معجزة بكل المقاييس وأيضاً يحفظ الحياة للعبرانيين وليستبقى لكم نجاة عظيمة.

❖❖❖

(فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله. وهو قد جعلني أباً لفرعون وسيداً لكل بيته ومتسلطاً على كل أرض مصر. أسرعوا وإصعدوا إلى أبي وقولوا له هكذا يقول إبنك يوسف. قد جعلني الله سيداً لكل مصر. إنزل إلى. لا تقف. فتسكن فى أرض جاسان

وتكون قريباً مني أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل ما لك. وأعولك هناك لأنه يكون أيضاً خمس سنين جوعاً لئلا تفتقر أنت وبيتك وكل ما لك. وهوذا عيونكم ترى وعينا أخي بنيامين أن فمي هو الذي يكلمكم وتخبرون أبي بكل مجدي في مصر وبكل ما رأيتم وتستعجلون وتنزلون بأبي إلى هنا).

تك ٤٥ (٨-١٣)

عاد يوسف يؤكد عليهم عن حبه لهم وتسليم حياته لله .. إنهم ليس هم الذين أرسلوه إلى هنا بل الله .. وهو قد جعلني أباً لفرعون وسيداً لكل بيته ..

يوسف الصديق هنا ذكر الله كثيراً في كل حديثه مؤكداً أنه هو سبب مجده على المصريين .. والعجيب أن يوسف كان متأكداً أن إخوته ليس هم الذين أرسلوه إلى هنا بل الله ..!

نرجع مرة أخرى إلى يوسف الذي إعترف بأن الله جعله أباً لفرعون وسيد بيته ومتسلط على كل أرض مصر..

ثم قال لهم يوسف: "إصعدوا إلى أبي وقولوا له".. هنا يوسف حملهم رسالة إلى أبيه يعقوب: "هكذا يقول إبنك يوسف قد جعلني الله سيداً لكل مصر".. هنا شدد يوسف على أن الله هو الذي جعله سيداً لكل مصر، عظيمة جداً هذه الجملة من حيث مكانتها وعظمتها "سيداً لكل مصر" أما فحوى هذه الرسالة هي: "أنزل إليّ لا تقف" أي لا تنتظر وإستعجل النزول وجهز يوسف المكان

وخصصه قبل مجئ يعقوب إليه، "وتكون قريباً منى كانا غربة واوالك أنت وبنوك وبنى بنيك وغنمك وبقرك وهوذا عيونكم وعيون أخى بنيامين ترى أن فمى هو الذى يكلمكم وتقولون لأبى تخبرون بكل مجدى فى مصر" وبكل ما رأيتم وتأتوا بأبى إلى هنـــا أى ليرى مجده الذى فى مصر.. مصر التى لا يخضعها أحد.. وليس من السهل على أحد أن يروضها أو أن يضيف إليها مجد، ولكن يوسف أضاف ليس مجداً ولكنه أضاف إليها أهم شئ.. أضاف إليها الحياة نفسها!!

❈❈❈

(ثم وقع على عنق بنيامين أخيه وبكى بنيامين على عنقه وقبل جميع إخوته وبكى عليهم وبعد ذلك تكلم إخوته معه وسمع الخبر فى بيت فرعون وقيل جاء إخوة يوسف فحسن فى عينى فرعون وفى عيون عبيده فقال فرعون ليوسف قل لإخوتك إفعلوا هذا. حملوا دوابكم وإنطلقوا إذهبوا إلى أرض كنعان. وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إلىّ فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض فأنت قد أمرت إفعلوا هذا. خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا ولا تحزن عيونكم على أثاثكم لأن خيرات جميع أرض مصر لكم).

تك ٤٥ (١٤-٣٠)

بكى يوسف على
عنق بنيامين أخيه! وأخيه
بنيامين بكى على عنقه!
لقد كبر بنيامين لدرجة
إنه كان فى طول أخيه
يوسف الذى يمكن أن
نسميه يوسف الفرعونى،
وبعد ما إستفاقوا من
صدمتهم بدأو يتكلمون معه بعدما شجعهم يوسف وإطمأنوا إليه وإلى نواياه تجاههم وإستشعروا نقاء وجهه فى وجههم.

أخيراً إستقر فى مسامع فرعون هذه الأحداث الأخوية المثيرة للمشاعر، وعرف فرعون وتأكد من نبل أخلاق وزيره الأول صفنات فعنيح.

المهم إستحسن فرعون وعبيده ومصر كلها لقاء وزيرهم الأول يوسف بإخوته، ولم شمل هذه الأسرة العبرانية، وفعلاً إستدعى فرعون مصر العظيم وزيره يوسف وأصدر أمامه فرمانه الآتى:

"قل لإخوتك أن ينفذوا الآتى، حملوا دوابكم وإنطلقوا إلى أرض كنعان وأتوا بأبيكم وتعالوا إلىّ أى ستكونون ضيوف فرعون ومصر كلها فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض" !

فأنت قد أمرت! عجيبة هذه الجملة الصغيرة .. أراد الفرعون أن يقول ليوسف أنت قد أمرت، أى لقد أصدرت هذا القرار نيابة عنك، وبذلك قد

أعطى فرعون مصداقية ليوسف صدق مصداقيته بإستضافة أسرته بإكملها وهذا أمر فرعونى لا يقبل التفاوض أو النقاش أو النقض، خذوا لكم من مصر عجلات أى وسيلة نقل فرعونية ملكية لحمل يعقوب وأسباطه ولا تحزنوا على أثاثكم من ممتلكاتكم لأن خيرات مصر كلها لكم، أى أن مصر فيها خيرات تكفى لكم ولأولادكم وهذان الأمران هما من أكبر شخصيتين فى مصر هما فرعون الجالس على العرش المصرى وحامى حضارتها، ورأس الدولة، والوزير الأول صفنات فعنيح أى يوسف الصديق منقذ الحياة فى مصر والعالم..

❊❊❊

(ففعل بنو إسرائيل هكذا . وأعطاهم يوسف عجلات بحسب أمر فرعون. وأعطاهم زاداً للطريق. وأعطى كل واحد منهم حلل ثياب. وأما بنيامين فأعطاه ثلث مئة من الفضة وخمس حلل ثياب. وأرسل لأبيه هكذا. عشرة حمير حاملة من خيرات مصر وعشر أتن حاملة حنطة وخبزاً وطعاماً لأبيه لأجل الطريق ثم صرف إخوته فإنطلقوا وقال لهم لا تتغاضبوا فى الطريق) .

تك ٤٥ (٢١-٢٤)

نُفذ يوسف أمر الفرعون بإرسال العجلات، وأعطاهم زادٌ للطريق، وأعطاهم يوسف حلل ثياب، ولكن بنيامين له مكانة خاصة لديه فأعطاه يوسف ٣٠٠ من الفضة، مبلغ مالى كبير جداً فى ذلك الوقت! وخمس حلل ثياب! وأرسل أيضاً يوسف لأبيه يعقوب عشرة حمير من خيرات مصر، وعشر أتن

حاملة حنطة أى قمح وخبزاً وطعاماً لأبيه!! لأجل الطريق، ولأجل الرحلة إلى مصر، تلك الرحلة الطويلة التى لا يتحملها شيخ كبير مثل يعقوب .. وأيضاً طعام مطبوخ من أرض مصر المشهورة بطعامها اللذيذ، ومشهيات الطعام المصرى لأجل أبيه، وصرف الإخوة حاملين هذه الهدية من فرعون مصر ويوسف أخيهم إلى أبيهم وإنطلقوا ولكن هنا قال لهم يوسف وصية لا يستطيع إلا يوسف أن يقولها لهم وهى: "لا تتغاضبوا فى الطريق" لأن يوسف علم بأفكارهم إنهم سوف يلقون بالتهم إلى بعضهم البعض.. وسوف تحدث بينهم جلبة ونقاش حاد.. ومن الممكن أن يتطور بينهم ذلك النقاش إلى تطاول بالكلام أو باليد!! أو إنشقاق مجموعة ضد مجموعة!!

وأيضاً سوف يفكرون كيف سيلقون يعقوب أبيهم هذا الخبر الذى سوف يجعل يعقوب يفكر كيف ذلك، وأكيد طبعاً سوف توجه إليهم ليس تهمة، ولكن سوف توجه من أبيهم إليهم أسئلة لا يستطيعون الإجابة عنها وبالتالى سوف تحول إلى شكوك فى عقل أبيهم الذى ضعف بصره حزناً على يوسف، لذلك قطع يوسف عليهم كل ذلك التفكير وأوصاهم قائلاً "لا تتغاضبوا فى الطريق"!!

❊❊❊

(فصعدوا من مصر وجاءوا إلى أرض كنعان إلى يعقوب أبيهم. وأخبروه قائلين يوسف حى بعد. وهو متسلط على كل أرض مصر. فجمد قلبه لأنه لم يصدقهم. ثم كلموه بكل كلام يوسف الذى كلمهم به.

وأبصر العجلات التى أرسلها يوسف لتحمله. فعاشت روح يعقوب أبيهم.
فقال إسرائيل كفى. يوسف إبنى حى بعد. أذهب وأراه قبل أن أموت).

تك ٤٥ (٢٥-٢٨)

صعد الإخوة إلى أبيهم وهم يحملون إليه خبر يساوى الحياة كلها بالنسبة ليعقوب. لا أدرى كيف إستقبل يعقوب هذا الخبر؟!

جاء الأبناء يقولون: "يوسف حى بعد ! وهو متسلط على كل أرض مصر" ! ! .. والغريب أن الأبناء قالوها فى جملة واحدة "يوسف حى وهو متسلط على أرض مصر" وهذا طبعاً لكى يبهر أبيهم بخبر مكانته العظيمة فى مصر فينشغل بهذه الفرحة فلا يسأل عن أسئلة لا يجدون لها إجابة، هذا كان فكرهم. فجمد قلبه من صدمته العنيفة، تخيل إنسان مات منذ عشرين عام وأخيراً رأيته قدامك أو سمعت أنه حى!!

وبعد فترة وجيزة سوف تراه، وهذا الإنسان هو الإبن المحبوب ليعقوب.

هناك بعض البشر حينما يسمعون خبر غير متوقع على الإطلاق إنهم يصابون بنوبات قلبية أو يجمد قلبهم مثلما حدث لأبينا يعقوب أب الأباء!!

ثم كلموه بكلام يوسف، وأبصر العجلات التى أرسلها يوسف، فتأكد يعقوب من كلامهم وحينما أبصر العجلات التى أرسلها يوسف يقول الكتاب: "عاشت روح أبيهم ! !".. عجيبة هذه الكلمة!!

رؤية العجلات التى تحمله ليوسف، وخبر يوسف فى الحياة هذان السببان جعلت روح يعقوب تعيش، فكم وكم حينما يراه ويلمسه بيديه؟!

فقال إسرائيل: "كفى . . يوسف إبنى حى بعد، أذهب وأراه قبل أن أموت".

يعقوب علق كل حياته على مقابلة يوسف المحبوب، يريد أن يرى يوسـف ثم يموت، هذا هو مبتغى يعقوب أبو الأسباط!!

وطبعاً الإخوة مترقبين هذا اللقاء الذى سيقرر مستقبلهم ويقـرر مـدى علاقتهم بأبيهم عندما تدور فى عقله أفكار وأفكار وأفكار.

❈❈❈

(فارتحل إسرائيل وكل ما كان له وأتى إلى بئر سبع. وذبح ذبائح لإله أبيه إسحق. فكلم الله إسرائيل فى رؤى الليل وقال يعقوب يعقوب. فقال هأنذا. فقال أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر. لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضاً. ويضع يوسف يده على عينيك).

تك ٤٦ (١-٤)

لم نتوقع أن الأحداث ستقودنا إلى مصر، ولكن لا تُنـسى قـصة الحـب الشهيرة والعلاقة العظيمة بين الله ويعقوب، فيعقوب لا يتحرك إلا بمشورة الله، والملاك الذى حفظه من كل شر فى كل رحلاته.

وصل يعقوب وبنوه إلى بئر سبع وقدم يعقوب ذبائح للرب وهنا جاء دور الله ليُعلم يعقوب فى رؤى الليل بعيداً عن الجميع فى علاقة جميلة قائلاً: "أنا الله إله أبيك لا تخف من النزول إلى مصر"..

ألهذا الحد كان يعقوب خائف من النزول إلى مصر، لأنه ليس سـيذهب بمفرده كإحدى رحلاته ولكن سيذهب بكل الأسباط .. فهذا يعتبر إنتقال دولة

إلى دولة، وإندماج دولة فى دولة، ويريد أن يعرف مشورة الله فى هذا الإنتقال التاريخى، فيوسف هو صاحب فكرة النزول إلى مصر لإستضافة قد تطـــول إلى أكثر من ٤٠٠ سنة هذه الرحلة .. ألا ترون إننا فى إحتيـــاج إلى صـــوت الله ومشورته؟!!

فعلاً كانت هذه الرحلة مقررة من الله بسابق علمه .. فـــأزال الله عنـــه الخوف ووعده بأنه يكون أمة عظيمة، وأيضاً قال له الله: "أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضاً ويضع يوسف يده على عينيك" أى سيشهد يوسف إبنك وقت خروج روحك منك ويغمض عينيك.

❈❈❈

(فقام يعقوب من بئر سبع. وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم فى العجلات التى أرسل فرعون لحمله. وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذى إقتنوا فى أرض كنعان وجاءوا إلى مصر. يعقوب وكل نسله معه. بنوه وبنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر. وهذه أسماء بنى إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر. يعقوب وبنوه. بكر يعقوب رأوبين. وبنو رأوبين حنوك وفلو وحصرون وكرمى. وبنو شمعون يموئيل ويامين وأوهد وياكين وصوحر وشاول إبن الكنعانية وبنو لاوى جرشون وقهات ومرارى. وبنو يهوذا عير وأونان وشيلة وفارص وزارح. وأما عير وأونان فماتا فى أرض كنعان. وكان إبنا فارص حصرون وحامول. وبنو يساكر تولاع وفوة ويوب

وشمرون. وبنو زبولون سارد وإيلون وياحلئيل. هؤلاء بنو ليئة الذين ولدتهم ليعقوب في فدان أرام مع دينة إبنته. جميع نفوس بنيه وبناته ثلث وثلثون. وبنو جاد صفيون وحجي وشوني وأصبون وعيري وأرودي وأرئيلي. وبنو أشير يمنة ويشوة ويشوي وبريعة وسارح هي أختهم. وإبنا بريعة حابر وملكيئيل. هؤلاء بنو زلفة التي أعطاها لابان لليئة إبنته. فولدت هؤلاء ليعقوب ست عشرة نفساً.

إبنا راحيل إمرأة يعقوب يوسف وبنيامين. وولد ليوسف في أرض مصر منسى وأفرايم اللذان ولدتهما له أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون. وبنو بنيامين بالع وباكر وأشبيل وجيرا ونعمان وإيحي وروش ومُفيم وحُفيم وأردُ. هؤلاء بنو راحيل الذين ولدوا ليعقوب. جميع النفوس أربع عشرة. وإبن دان حوشيم وبنو نفتالي ياحصيل وجوني ويصر وشليم هؤلاء بنو بلهة التي أعطاها لابان لراحيل إبنته. فولدت هؤلاء ليعقوب. جميع الأنفس سبع. جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صُلبه ما عدا نساء بني يعقوب جميع النفوس ست وستون نفساً. وإبنا يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان. جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون).

تك ٤٦ (٥-٣٧)

هنا كان من المهم جداً أن يذكر لنا الوحى الإلهى هذه الأسماء بدقة بأمهاهم لأن هذا هو حفظ التاريخ بالأنساب، والغريب أنه ذكر إبنا يوسف أفرايم ومنسى لأنهم من صلب يعقوب جدهم وأبوهم يوسف، ولكن نرجع مرة أخرى إلى الأعداد والأنساب، لم يذكر كتابانا المقدس فى الأعداد النساء ليئة وراحيل وبلهة وزلفة.. لأن المقصود هو ذكر الخارجين من صلب يعقوب، أى الأبناء، أى الإسباط وأولادهم لأن هؤلاء الأبناء والأحفاد هم بنى إسرائيل.

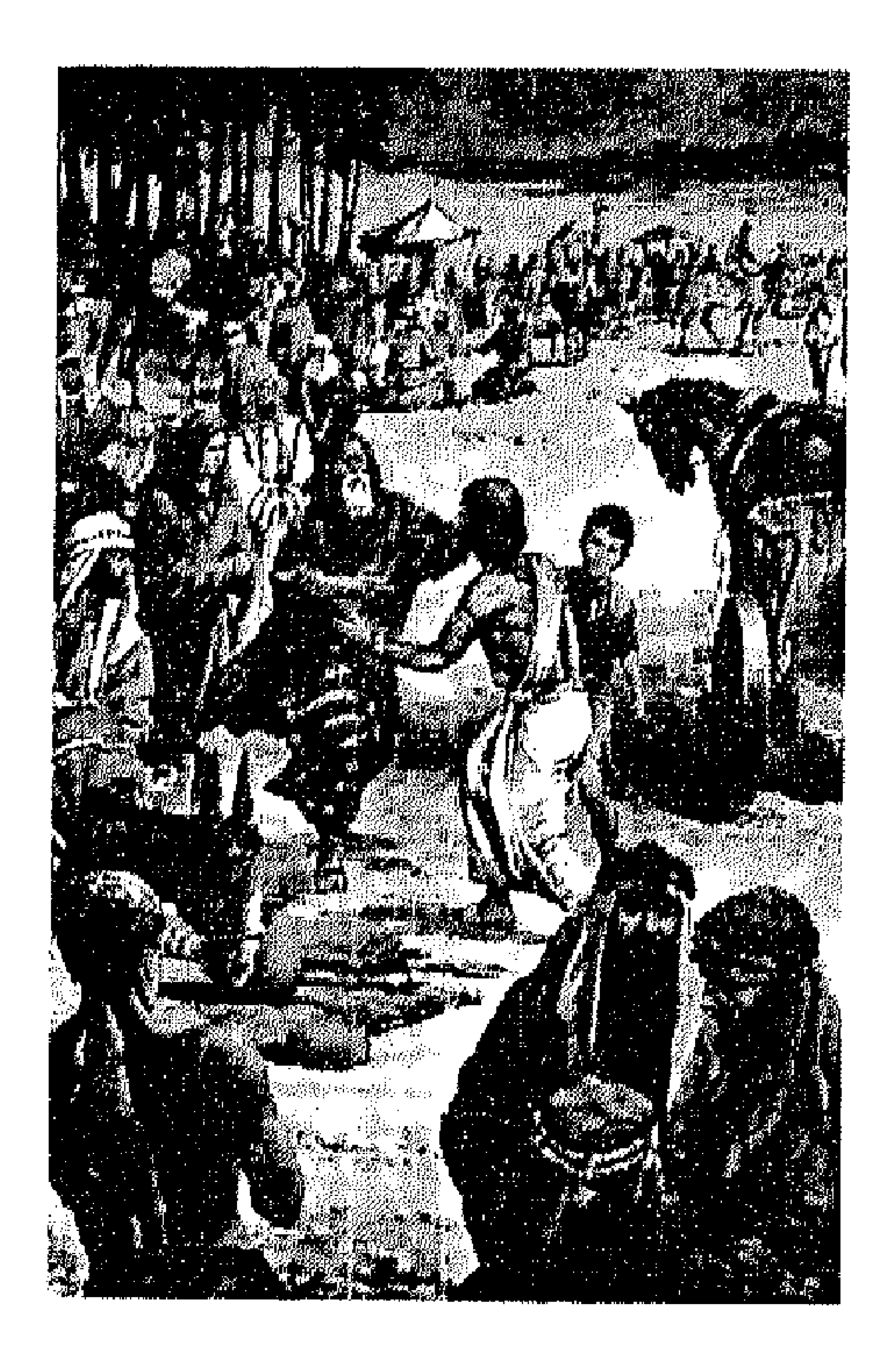
ذكر الكتاب إنهم جملة سبعون نفساً لكى يبين الكتاب المقدس تكاثرهم ونموهم وإكثارهم لأن خروجهم من مصر فيما بعد أى يعد أكثر من ٤٠٠ سنة كانت أعداد كبيرة وضخمة وكانت أكثر رحلات التاريخ عدداً وذلك من سبعين فقط.

❖❖❖

(فأرسل يهوذا أمامه إلى يوسف ليرى الطريق أمامه إلى جاسان ثم جاءوا إلى أرض جاسان. فشد يوسف مركبته وصعد لإستقبال إسرائيل أبيه إلى جاسان. ولما ظهر له وقع على عنقه وبكى على عنقه زماناً فقال إسرائيل ليوسف أموت الآن بعدما رأيت وجهك إنك حى بعد).

تك ٤٦ (٢٨-٣٠)

أرسل يعقوب أب الأباء يهوذا إبنه أمامه إلى يوسف ليرى الطريق أمامه إلى أرض جاسان، ولماذا أرسل يعقوب سفارة قبل أن يذهب؟!.. لأن يعقوب مازال فى الصدمة لم يستطيع أن يُصدق أنه بعد قليل جداً سوف يرى يوسف إبنه!!



ولكن فى الجهة الأخرى نرى يوسف أنه يحسب الوقت من خروجهم من أرضهم إلى وصولهم إلى بوابة مصر الشرقية. أى إلى أرض جاسان يقول الكتاب: "أن يوسف شد مركبته وصعد لإستقبال أبيه إسرائيل".. وهنا لابد أن يوسف قد دارت فى أفكاره أشياء كثيرة، فيوسف الصديق كان رجلاً حالماً.. شاعراً.. مرهف الحس.. وأمثال هؤلاء الحالمين مرهفى الحس تراودهم أفكار ما أجملها!!

فقال يوسف كيف أصبح أبي بعد هذا العمر الطويل والغيبة الممزوجة بالحرمان؟!.. كيف أصبحت صحته؟!.. ونظره؟!.. كيف أصبحت هيئته؟!.. هل سيتذكر شكلى سريعاً للوهلة الأولى أم يمعن النظر؟!.. هل ملابس الفرعونية وملابس الرئاسة هذه قد غيرت من شكلى؟!.. طبعاً ولابد لأن إخوتى لم يعرفونى!! رغم إنى كلمتهم ولم يعرفونى إلا حينما عرفتهم بنفسى!!.. ولكن مشاعر الأب مختلفة كل الإختلاف، كيف هى مشاعر أبى تجاهى؟!.. هل نسينى؟!.. لا وألف لا هل نسى مرحى ولعبى وأنا بعد صبى صغير وطفل صغير ماتت أمه، وهو لأبيه وأبيه يحبه، هل حينما عرف أبى إنى حى؟!.. هل تذكر أحلامى حينما علم بكل مجدى فى مصر؟!.. هل صدقنى؟!.. هل تأكد من

أحلامى لأنه لإستبقاء حياة أرسلنى الله قدامه ليستبقى له نجاة عظيمة؟!.. سوف أهتم به وأضعه تحت بصرى وأعرضه على عبيدى الأطباء ليهتموا بصحته لأنه أتى من المجاعة، فلابد أن صحته معتلة.

ظل يوسف يغرق ويغرق فى أفكاره وأحلامه وهو يقول: "تعالى سريعاً يا أبى، لقد تأخرت مركباتك عن الوصول، كم هى طويلة هذه الرحلة"..

وبينما يوسف يفكر ويفكر أبصر من بعيد مركبات أتية وغبار الأرض خلفها وهى تجرى مسرعة يقودها أمهر القادة من المصريين عبيد إبنه يوسف.. ويعقوب جالس فى المركبة تدمع عينيه لأنه إقترب من إبنه، ولكن يعقوب لا يستطيع من كبر سنه أن يبصر من بعيد، ولكن لاشك أن المركبات قد حس بها يعقوب، إنها بدأت تخف من سرعتها وبدأ لبقية المركبات أن تبصر الوزير الأول فى مصر وهو واقف منتظر أباه ووجهه يعلوه القلق من هول الموقف ومن رؤية أبيه، وطبعاً حول يوسف الوزراء والمقدمين والحراس وحراس القصر الفرعونى وعبيده ورؤساء عبيده وعلية القوم من المصريين.

ولاشك أن يوسف الصديق قد بدأت يديه تشعر بالبرودة من هذا الموقف.. وفجأة بدأت المركبة التى تقل الشيخ تقف ويسنده الأبناء وهم محيطين بأبيهم.. وهنا تقدم يوسف الصديق ليحتضن أباه ويبكى مثل طفل صغير قد فُقد وتاه بين العالم ورجع حالاً لأبيه، بكى.. وبكى يعقوب حينما رآه يبكى.. وهو فى منظره الجديد وتربت يعقوب بيديه الكبيرة على كتفيه وظهر يوسف قائلاً: "أأنت حى يا يوسف" وظل يعقوب يتفرس فى إبنه وفى ملابسه الفرعونية الجميلة ذات الألوان الزاهية الجميلة ولكن فى نظر يعقوب يوسف

أجمل منها بكثير جداً..

والعجيب هنا أن الكتاب يقول: "وبكى على عنقه زماناً".. لماذا لم يقل طويلاً أو كثيرا؟! لماذا قال زماناً ؟؟!.. لأنه فُقد من زماناً فكان حضن أبيه بمثابة تعويض عن تلك الفترة الزمنية الطويلة، ولأجل الإشتياق، ولكنها المحبة، وتعويضاً عن ما لاقاه يوسف من عبودية وزل، وحينما رفع يعقوب ويوسف وجههما ونظرا إلى بعض إنهما رأى أن عيونهم مليئة بالدموع والحب والشوق والحرمان من إبوته ومن بنوته، ولاشك أن يوسف قد قبل يدى يعقوب أبيه وحراسه ووزراءه ناظرين إلى أعظم مثال فى المحبة الأبوية وتقدير الإبوة وإحترامها.

فلم يمنعه منصبه ولا إستحى من عبيده ووزراءه بل قبلها وكثيراً حتى غرقت يدين أبيه بالدموع، وإحتضنه يعقوب أيضاً فى شوق لأن يعقوب لم يشفى غليل غربته وفقدانه لإبنه فقال إسرائيل لإبنه: "أموت الآن بعدما رأيت وجهك إنك حى" فرؤية وجهه هى بمثابة إنتهاء الحياة ومبتغاها بالنسبة ليعقوب. وينتهى هذا اللقاء بنقل يعقوب من مركبة إلى مركبة رئيس الوزراء المصرى العبرانى، ويوسف يسنده فى حنو وإشفاق ولازالت دموعه تجرى حتى من فرطها لم تبصر، عينهما لم تنظر طريقها بوضوح، وركب يعقوب ويوسف فى مركبة واحدة يقودها يوسف، وإنطلق والإخوة وراءهم ذاهبين إلى القصر الفرعونى وهم بصحبة رجل مصر الأول صفنات فعنيح أى يوسف الصديق منقذ العالم.

❊❊❊

(ثم قال يوسف لإخوته ولبيت أبيه أصعد وأخبر فرعون وأقول له إخوتي وبيت أبي الذين في أرض كنعان جاءوا إلى. والرجال رعاة غنم. فإنهم كانوا أهل مواش وقد جاءوا بغنمهم وبقرهم وكل ما لهم. فيكون إذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم. أن تقولوا عبيدك أهل مواشٍ منذ صبانا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعاً. لكي تسكنوا في أرض جاسان. لأن كل راعي غنم رجس للمصريين).

تك ٤٦ (٣١-٣٤)

حين جلس يوسف مع أبيه وتبادل الأشواق وقدم لهم مائدة فرعونية عالية المستوى قال يوسف: "أقوم الآن وأصعد وأخبر فرعون".

وبدأ يوسف يحكي لهم سيناريو الحديث الفرعوني المتوقع، وكيف يضع الكلام في أفواههم وأقول له إخوتي وبيت أبي الذين في أرض كنعان أتوا إلى مصر والرجال رعاة غنم وقد أحضروا مواشيهم وغنمهم وبقرهم وإذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم أو عملكم أن تقولوا عبيدك رعاة غنم من حين إلى الآن لكي تسكنوا في أرض جاسان.

ونأتي هنا إلى منطقة أرض جاسان... أرض جاسان هي بلاد محافظة الشرقية حالياً.. وهي مشهورة من أيام أجدادنا الفراعنة القدماء بالخضرة الشهيرة، وهي على حدود مصر الشرقية لذلك سميت بالشرقية وأيضاً لأنها على الضفة الشرقية لفرع دمياط من نيلنا الخالد وهي تسمية فرعونية، ومكان مليء بالخضرة، ويصبح المكان الملائم لرعاية الغنم والمواشي وذلك بالطبع من

خبرة يوسف فى الأراضى المصرية.

ولأن يوسف قبل أن يأتى يعقوب أبيه قد جهز له المكان المناسب لأبيه وإخوته وبالتالى لمزاولة أعمالهم التى تعودوا عليها. ما أجملك يا يوسف فى عقلك! وتجهيزك للأمور! وهذا ليس بالغريب عليك فأنت المنظم لكل مصر، ليس بالقليل عليك أن تنظم لأبيك وإخوتك.

ولأن كل راعى غنم رجس للمصريين. ولأن المصريين القدماء كان من ضمن عباداتهم عبادة العجل أبيس فكيف يبصر المصريون العجول وهى تساق أو تضرب أثناء قياداتها لذلك دعاهم يوسف إلى أرض جاسان بعيداً عن المصريين وعباداتهم وأفكارهم ومعبوداتهم.

ما أجمل يوسف فى مراعاته لمشاعر الآخرين وإحساساتهم لاسيما وأنه غريب عنهم وليس مصرياً بل عبرانياً، وعبرانياً حتى النخاع لأنه حقاً إسرائيلياً لا غش فيه.

❈❈❈

(فأتى يوسف وأخبر فرعون وقال أبى وإخوتى وغنمهم وبقرهم وكل ما لهم جاءوا من أرض كنعان. وهوذا هم فى أرض جاسان. وأخذ من جملة إخوته خمسة رجال وأوقفهم أمام فرعون. فقال فرعون لإخوته ما صناعتكم. فقالوا لفرعون عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعاً. وقالوا لفرعون جئنا لنتغرب فى الأرض إذ ليس لغنم عبيدك مرعى لأن الجوع شديد فى أرض كنعان فالآن ليسكن عبيدك فى أرض جاسان.

فكلم فرعون يوسف قائلاً أبوك وإخوتك جاءوا إليك. أرض مصر قدامك في أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك ليسكنوا في أرض جاسان وإن علمت إنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواشٍ على التي لي).

تك ٤٧ (١-٦)

قام يوسف الصديق وإرتدى كامل ملابسه الفرعونية لأنه داخل إلى فرعون مصر العظيم، وأخبر فرعون وذلك طبعاً بعد تقديم التقارير الإقتصادية وحالة البلاد المصرية بعد مرور سنتين من المجاعة، والباقي خمسة سنين أخرى وجرت أحاديث أخرى تتعلق كلها بالإقتصاد المصرى وليس بالأحاديث السياسية، والأحاديث السياسية سوف نتطرق إليها فيما بعد، وأخيراً أخبر يوسف فرعون بأن إخوته وأبيه أتوا من أرض كنعان، وأخذ خمسة من إخواته وأوقفهم أمام الفرعون فسألهم فرعون: "ما صناعتكم ؟" .

وهنا تخلى يوسف وتنحى جانباً عن الحديث وجعل الحديث بين الإخوة والفرعون. فقالوا لفرعون: "عبيدك رعاة غنم. نحن وآباءنا جميعاً" وأضافوا: "إلى الفرعون جئنا لنتغرب في الأرض. وإذ ليس لغنم عبيدك مرعى لأن الجوع شديد في أرض كنعان جاءوا لمصر بسبب الجوع".

وشرحوا للفرعون كيف أن الجوع شديد فى أرض كنعان، وليس هناك خضرة للمواشي وهنا عندما أوصلوا الفرعون حاجتهم للمدعى قالوا للفرعون: "ليسكن عبيدك في أرض جاسان كما أوصاهم يوسف" هكذا قالوا...

❖❖❖

(فكلم فرعون يوسف قائلاً أبوك وإخوتك جاءوا إليك. أرض مصر قدامك فى أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك ليسكنوا فى أرض جاسان وإن علمت إنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواشى على التى لى).

تك ٤٦ (٥-٦)

هنا وجه الفرعون حديثه ليوسف قائلاً: "أبوك وإخوتك جاءوا إليك أرض مصر بطولها وعرضها. فى أفضل الأراضى والأماكن أسكنهم".

وهنا أصدر الفرعون أمره بالفرمان الآتى: "ليسكنوا فى أرض جاسان".. وهذا القرار له تابعيات طويلة الأمد فى تاريخ مصر القديم، وإن تأكدت إنه يوجد بينهم ذو خبرة ومميزين فى عملهم فإجعلهم رؤساء على التى لى لأن الفرعون العظيم كان متوسماً منهم أن يكونوا مميزين فى أعمالهم مثل أخيهم صفنات فعنيح يوسف الصديق.. هنا أصبح وجود العبرانيين فى مصر بطريقة شرعية وبفرمان فرعونى عظيم الشأن..

✠✠✠

(ثم أدخل يوسف يعقوب أباه وأوقفه أمام فرعون وبارك يعقوب فرعون. فقال فرعون ليعقوب كم هى أيام سنى حياتك. فقال يعقوب لفرعون أيام سنى غربتى مئة وثلثون سنة. قليلة وردية كانت أيام سنى حياتى ولم تبلغ إلى أيام سنى حيوة آبائى فى أيام غربتهم. وبارك يعقوب

فرعون وخرج من لدن فرعون. فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكاً فى أرض مصر فى أفضل الأرض فى أرض رعمسيس كما أمر فرعون وعال يوسف أباه وإخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد).

تك ٤٧ (٧-١٣)

هنا أدخل يوسف يعقوب أبيه على الفرعون العظيم ويقول الكتاب هنا: "وبارك يعقوب فرعون".. وهنا لم تكن بركة كما يبارك يعقوب أو إسحق أو إبراهيم أبائنا أولادهم أو محبيهم، بل المقصود هنا أن يعقوب شكر فرعون مصر على إستضافتهم فى أرض مصر، وأيضاً أن يكون يعقوب قد دعا له بالخير والنما والسلطة وهدوء البال وإعتدال مصر سياسياً، وعندما إستحسن فرعون حديث يعقوب ولأنه أب يوسف منقذه ومنقذ مصر والعالم بدأ يسترسل الفرعون الحديث ويطوله قائلاً: "كم هى سنى حياتك؟" فأجابه يعقوب: "أيام سنى غربتى ١٣٠ عام" وكل ما قابله يعقوب فى حياته لخصه فى جملة قليلة ورديئة من كثرة ما قابل من خدع وأكاذيب وتحايل فى بيت أبيه وبيت لابان وعن بنيه ومن هول مالاقاه من زوجاته وعيسو أخيه والمقابلة الشهيرة بينهما وتقسيم الأسرة إلى جيشين وقتل بنى حمور من شكيم وهروبه المتكرر، ليس بالعجب أن يقول قليلة ورديئة "ولم تبلغ سنى أبائى" بمعنى أنها لم تكن هادئة مثلهم، وكانت أحداثها قليلة، ولم يكن فيها عنف مثل أيام يعقوب، وأيضاً أعمارهم كانت طويلة من حيث عدد السنين، وتجاذب أطراف الحديث فى أمور

كثيرة، فى أمور كثيرة لأن فرعون رأى أمامه خبرة وكثرة أيام وعادات مختلفة وشخصية غريبة مثلما إستغرب قبل ذلك الفتى العبرانى يوسف الصديق.

وخرج يعقوب من لدن فرعون أى من حضرة الفرعون الكبير وأسكنهم يوسف كما أمر الفرعون فى أرض رعمسيس فى منطقة جاسان وعالهم يوسف هم وأولادهم بطعام على حسب الأولاد أى حسب أعدادهم ومواليدهم فى أرض مصر القديمة وإهتم بهم يوسف لأنه كان إبن بار لأبيه وإخوته وكل عائلته...

❋❋❋

(ولم يكن خبز فى كل الأرض. لأن الجوع كان شديداً جداً. فخورت أرض مصر وأرض كنعان من أجل الجوع. فجمع يوسف كل الفضة الموجودة فى أرض مصر وفى أرض كنعان بالقمح الذى إشتروا وجاء يوسف بالفضة إلى بيت فرعون، فلما فرغت الفضة من أرض مصر ومن أرض كنعان أتى جميع المصريين إلى يوسف قائلين أعطنا خبزاً. فلماذا نموت قدامك لأن ليس فضة أيضاً. فقال يوسف هاتوا مواشيكم فأعطيكم بمواشيكم إن لم يكن فضة أيضاً. فجاءوا بمواشيهم إلى يوسف فأعطاهم يوسف خبزاً بالخيل وبمواشى الغنم والبقر وبالحمير. فقاتهم بالخبز تلك السنة بدل جميع مواشيهم).

تك ٤٧ (١٣-١٧)

هذه الفقرة تعتبر إقتصادية صرف، فكلها تفاصيل المجاعة.

يصور لنا الكتاب المقدس المجاعة وكيف إنها كانت شديدة جداً فخُورت أرض مصر والغريب هنا أيضاً أنه تم ربط المجاعة فى مصر وأيضاً أرض كنعان. لماذا؟! لأن أرض ميلاد يوسف المنقذ أى أرض كنعان أصبحت جزء من تاريخ مصر أرض الأسباط ويعقوب أباهم. فجمع يوسف كل الفضة وأتى بها إلى بيت الفرعون لأنه مصدر الأوامر فى مصر وهو حاكمها الأول، ويوسف الصديق هو الأمين فيما يصنع الله فى يده من صلاحيات، ولما فرغت الفضة أتى جميع المصريين إلى يوسف قائلين: "أعطنا خبزاً".

أتوا لأن الفرعون قال لهم: "إذهبوا إلى يوسف فهو المتصرف فى شئون مصر إقتصادياً" ولكن قابل المصريين مشاكل كثيرة منها عدم إمتلاكهم فضة، فلم يكن أمامهم إلا بيع مواشيهم وبهائمهم وغنمهم.

باع المصريين بهائمهم ومواشيهم لكى يعيشوا تلك السنة!! أنظروا كم هو غالى ثمن الحياة؟! وأنظروا أيضاً كيف كان يوسف يقابل هذه المشكلة إقتصادياً!!

❊❊❊

(ولما تمت تلك السنة أتوا إليه فى السنة الثانية وقالوا له لا نُخفى عن سيدى أنه إذ قد فرغت الفضة ومواشى البهائم عند سيدى لم يبق قدام سيدى إلا أجسادنا وأرضنا. لماذا نموت أمام عينيك نحن وأرضنا جميعاً. إشترنا وأرضنا بالخبز فنصير نحن وأرضنا عبيد لفرعون. وأعط بذاراً

لنحيا ولا نموت ولا تصير أرضنا فقراً . فإشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون إذ باع المصريون كل واحد حقله لأن الجوع إشتد عليهم فصارت الأرض لفرعون وأما الشعب فنقلهم إلى المدن من أقصى حد مصر إلى أقصاه . إلا إن أرض الكهنة لم يشترها . إذ كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون. فأكلوا فريضتهم التي أعطاهم فرعون. لذلك لم يبيعوا أرضهم).

تك ٤٧ (١٨-٢٣)

ثم أتت السنة الثانية.. ماذا يفعل المصريون فى هذه الأزمة؟!.. ذهبوا مرة أخرى إلى يوسف كالعادة فقالوا له: "لا يخفى عن سيدنا صفنات فعنيح"، إذ لم يبقى قدامك سوى أجسادنا وأرضنا، "ولا نريد أن نموت إشترنا وأرضنا بالخبز فنصير نحن وأرضنا عبيداً لفرعون".

وإشترى يوسف كل أرض مصر إذ باع المصريون كل إنسان حقله فنقلهم يوسف من أقصى حد مصر إلى أقصاه عملية النقل هذه كانت كبيرة جداً تشبهه عملية التهجير الجماعي لأن أرضهم وبيوقم صارت ملك لفرعون مصر.

هكذا كان الإتفاق وهذه هى طبيعة المجاعة وتصرف الشعوب، وهذا هو تصرف الشعوب لأيام المجاعة، لأنها تعتبر أشهر المجاعات التى ألمت بالبشرية وخاصة بالشعب المصرى.

نقلهم يوسف لأنهم أصبحوا عبيداً لفرعون، وأصبحت أرض مصر ملكاً

لفرعون مصر، وإلا أن أرض الكهنة لم يشترها إذا كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون.

أرض الكهنة لم يشترها ذلك لأن للكهنة إحتراماً فى كل مكان وزمان، ولأن الفراعنة أصحاب ديانات كثيرة.. فالكهنة لهم مكانة كبيرة فى قلوب المصريين وفرعونهم.. ولأنهم أيضاً أصحاب سحر وعرافة ولهم مكانتهم عند فرعون والمصريين.

❈❈❈

(فقال يوسف للشعب إنى قد إشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون هوذا لكم بذار فتزرعون الأرض. ويكون عند الغلة أنكم تعطون خُمساً لفرعون والأربعة الأجزاء تكون لكم بذاراً للحقل وطعاماً لكم ولمن فى بيوتكم وطعاماً لأولادكم. فقالوا أحييتنا. ليتنا نجد نعمة فى عينى سيدى فنكون عبيداً لفرعون. فجعلها يوسف فرضاً على أرض مصر إلى هذا اليوم لفرعون الخمس. إلا إن أرض الكهنة وحدهم لم تصر لفرعون).

تك ٤٧ (٢٣-٢٦)

أعطاهم يوسف بذار ليزرعوا الأرض ويكون عند حصاد الغلة إنكم تعطون خمساً لفرعون، أى ثمن البذار والأربعة أجزاء لبيوتهم ولأولادهم والعجيب فى هذه الفقرة قول المصريين ليوسف قالوا له: "أحييتنا"!! جميلة جداً هذه الجملة أحييتنا فعلاً لأن يوسف الصديق هو مصدر حياة مصر

ومنقذها.. وحقاً أصاب فرعون حينما أسماه صفنات فعنيح أى منقــذ العــالم. وتُرجمت هذه التسمية وقالها المصريين "أحييتنا"!!

❋❋❋

(وسكن إسرائيل فى أرض مصر فى أرض جاسان وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً وعاش يعقوب فى أرض مصر سبع عشرة سنة فكانت أيام يعقوب سنو حياته مئة وسبعاً وأربعين سنة. ولما قربت أيام إسرائيل أن يموت دعا إبنه يوسف وقال له إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فضع يدك تحت فخذى وإصنع معى معروفاً وأمانة. لا تدفنى فى مصر بل إضطجع مع آبائى فتحملنى من مصر وتدفننى فى مقبرهم. فقال أنا أفعل بحسب قولك. فقال إحلف لى. فحلف له. فسجد إسرائيل على رأس السرير).

تك ٤٧ (٢٧-٣١)

يقول الكتاب: "وسكن إسرائيل فى أرض مصر فى أرض جاسان وكثروا وإثمروا جداً وتوالدوا". وكانت الأيام التى قضاها يعقوب أب الأباء سبع عشرة ســـنة وجملة أيام يعقوب التى عاشها مئة وسبعاً وأربعين سنه وقبل أن يسير يعقوب فى طريق الأرض كلها إستدعى إبنه يوسف وطلب منه طلـــب غريـــب لم يريـــد يعقوب أن يدفن فى أرض مصر أرض الخير والبركة، الأرض التى حفظت حياته وحياة أولاده، أين يريد أن يدفن؟ أراد أن يدفن حيث دُفـــن إســـحق أبيـــه

وإبراهيم جده فيعقوب متمسك بتقليد أبائه ولكن أراد أن يتأكد فطلب منه أن يحلف له، فوضع يوسف يده تحت فخذ أبيه وحلف له .. هكذا كان أسـلوب الحلف القديم للأمور المصيرية وحينما حلف له شكر الرب فسجد إسـرائيل على رأس السرير..

✠✠✠

(وحدث بعد هذه الأمور أنه قيل ليوسف هوذا أبوك مريض. فأخذ معه إبنيه منسى وأفرايم. فأخبر يعقوب وقيل له هوذا إبنك يوسف قادم إليك. فتشدد إسرائيل وجلس على السرير. وقال يعقوب ليوسف الله القادر على كل شئ ظهر لى فى لوز فى أرض كنعان وباركنى وقال لى ها أنا أجعلك مثمراً وأكثرك وأجعلك جمهوراً من الأمم وأعطى نسلك هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً. والآن ابناك المولودان لك فى أرض مصر قبلما أتيت إليك إلى مصر هما لى. أفرايم ومنسى كرأوبين وشمعون يكونان لى. وأما أولادك الذين تلد بعدهما فيكونون لك. على إسم أخويهم يسمون فى نصيبهم. بقيت مسافة من الأرض حتى آتى إلى أفراتة. فدفنتها هناك فى طريق أفراتة التى هى بيت لحم).

تك ٤٨ (١-٧)

أخبروا يعقوب أن يوسف قادم لرؤية أبيه بسبب أن يعقوب مريض فأسرع إليه يوسف الرقيق لرؤيته فتشدد إسرائيل وجلس على السرير، طبعاً.. فيوسف

رجل كبير المكانة فى أرض غربتهم، وحينما يذهب يوسف بالطبع سوف تذهب معه حراسته والمستشارين، وهنا بدأ يعقوب أن يسترجع ذكرياته وأعمال الله معه فى كل طرقه فقال: "الله القادر على كل شئ ظهر لى فى أرض لوز فى أرض كنعان".. وتذكر يعقوب وعد الله له قائلاً: "ها أنا أجعلك مثمراً وأكثرك وأجعلك جمهوراً من الأمم وأعطى نسلك هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً"

وضم يعقوب إبنى يوسف أفرايم ومنسى إلى أولاده كرأوبين وشمعون والذين تلدهم بعد ذلك هما إبناك على إسمك.. وحينما رأى وجه يوسف الجميل تذكر راحيل أمه وكيف كانت جميلة وتذكر أيضاً يعقوب موتها فى الطريق أثناء ولادة أخيه بنيامين وكيف دفنها فى طريق أفراته التى هى بيت لحم.

الإنسان ذكريات، لا يصبح إنسان فالإنسان بدون ماضى لا حاضر له ولا مستقبل..

❖❖❖

(ورأى إسرائيل إبني يوسف فقال من هذان. فقال يوسف لأبيه هما إبناى اللذان أعطانى الله ههنا. فقال قدمهما إلى لأباركهما. وأما عينا إسرائيل فكانتا قد ثقلتا من الشيخوخة لا يقدر أن يبصر. فقربهما إليه فقبلهما واحتضنهما وقال إسرائيل ليوسف لم أكن أظن إنى أرى وجهك وهوذا الله قد أرانى نسلك أيضاً ثم أخرجهما يوسف من بين ركبتيه وسجد أمام وجهه إلى الأرض. وأخذ يوسف الإثنين أفرايم بيمينه عن يسار إسرائيل ومنسى بيساره عن يمين إسرائيل وقربهما إليه فمد

إسرائيل يمينه ووضعها على رأس أفرايم وهو الصغير ويساره على رأس منسى وضع يديه بفطنه فإن منسى كان البكر وبارك يوسف وقال الله الذى سار أمامه أبواى إبراهيم وإسحق. الله الذى رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم. الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين وليدع عليهما إسمى وإسم أبوى إبراهيم وإسحق وليكثرا كثيراً فى الأرض).

تك ٤٨ (٨-١٦)

كان يوسف يقف وبين رجليه بنيه فسأل: "من هذان ؟" فقال له يوسف: "هما إبناى الذى رزقنى بهما الله" فطلب يعقوب أن يباركهم فقربهما إليه يوسف ليباركهم وكانت عيناى يعقوب قد ثقلتا من الشيخوخة.

وقال يعقوب ليوسف: "كنت أظن أنى لا أرى وجهك ولكن الله أرانى نسلك أيضاً" وأخذ يوسف إبنيه إلى يعقوب، أفرايم بيمينة عن يسار إسرائيل، ومنسى بيساره عن يمين إسرائيل، فمد إسرائيل يمينه ووضعها على رأس أفرايم وهو الصغير، ويساره على رأس منسى. وضع يديه بفطنة فإن منسى كان البكر.

جميل جداً كتابنا المقدس فى تفسيره وكلماته .. وضع يده بفطنة أى كان يعقوب يقصد!! لم تكن مصادقة أو ثقل شيخوخة!!

وبارك يوسف فى صورة إبنيه وقال: "الله الذى سار أمامه أبواى إبراهيم وإسحق. الله الذى رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم. الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين وليدع عليهما إسمى وإسم أبواى إبراهيم وإسحق وليكثرا كثيراً جداً "..

ما أجمل أن يبارك الكبير الصغير فهذه بركة من الله.

❈❈❈

(فلما رأى يوسف أن أباه وضع يده اليمنى على رأس أفرايم ساء ذلك في عينيه. فأمسك بيد أبيه لينقلها عن رأس أفرايم إلى رأس منسى. وقال يوسف لأبيه ليس هكذا يا أبى لأن هذا هو البكر. ضع يمينك على رأسه. فأبى أبوه وقال علمت يا إبنى علمت. هو أيضاً يكون شعباً وهو أيضاً يصير كبيراً. ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه ونسله يكون جمهوراً من الأمم. وباركهما في ذلك اليوم قائلاً بك يبارك إسرائيل قائلاً يجعلك الله كأفرايم وكمنسى. فقدم أفرايم على منسى. وقال إسرائيل ليوسف ها أنا أموت ولكن الله سيكون معكم ويردكم إلى أرض آبائكم. وأنا قد وهبت لك سهماً واحداً فوق إخوتك أخذته من يد الأموريين بسيفي وقوسي).

تك ٤٨ (١٧-٢٢)

عاكس يعقوب يديه على هيئة صليب، فالبركة هي في علامة الصليب دائماً ولكن ساء ذلك في نظر يوسف الذى رأى أن ذلك مخالف لتقليد الأباء الذى لم يرى غيرها متمسكاً بالتقاليد وقال لأبيه: "ليس هكذا يا أبى لأن منسى هو البكر ضع يمينك على رأسه" فرفض إسرائيل وقال: "علمت يا إبنى علمت! هو أيضاً يصير عظيماً ولكن الصغير يكون أكبر منه ونسله يكون جمهوراً كثيراً".

المهم باركهم يعقوب قائلاً: "بك يبارك إسرائيل قائلاً يجعلك الله كأفرايم وكمنسى" فقدم أفرايم على منسى وتنبأ يعقوب بأن الله سيردهم إلى أرض

أبائهم بعد فترة من الزمان تقدر بحوالى ٤٠٠ سنة .. ووجه كلامه ليوسف قائلاً: " وأنا قد وهبت لك سهماً واحداً فوق إخواتك أخذته من يد الأموريين بسيفى وقوسى " .. أى أعطاه يعقوب مكانه ونصيباً أعلى من إخوته بفضل جهاد يعقوب أبيه مع الأموريين بقوته وعنفوان شبابه كأنه وهب قوة شبابه ليوسف الصديق إبنه الحبيب صفنات فعنيح.

✠✠✠

(ودعا يعقوب بنيه وقال إجتمعوا لأنبئكم بما يُصيبكم فى آخر الأيام. إجتمعوا وإسمعوا يا بنى يعقوب وإصغوا إلى إسرائيل أبيكم. رأوبين أنت بكرى قُوتى وأول قُدرتى فضل الرفعة وفضل العز. فائراً كالماء لا تتفضل. لأنك صعدت على مضجع أبيك. حينئذ دنسته. على فراشى صعد. شمعون ولاوى أخوان. آلات ظلم سيوفهما . فى مجلسهما لا تدخل نفسى. بمجمعهما لا تتحد كرامتى. لأنهما فى غضبهما قتلا إنساناً وفى رضاهما عرقبا ثوراً. ملعون غضبهما فإنه شديد وسخطهما فإنه قاس. أقسمهما فى يعقوب وأفرقهما فى إسرائيل. يهوذا إياك تحمد إخوتك. يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك. يهوذا جرو أسد. من فريسة صعدت يا إبنى. جثا وربض كأسد وكلبوة. من ينهضه. لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب. رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنة إبن أتانه غسل بالخمر

لباسه وبدم العنب ثوبه. مُسود العينين من الخمر ومُبيض الأسنان من اللبن. زبولون عند ساحل البحر يسكن وهو عند ساحل السفن وجانبه عند صيدون. يساكر حمار جسيم رابض بين الحظائر. فرأى المحل أنه حسن والأرض إنها نزهة. فأحنى كتفه للحمل وصار للجزية عبداً. دان يدين شعبه كأحد أسباط إسرائيل. يكون دان حية على الطريق أفعواناً على السبيل يلسع عقبى الفرس فيسقط راكبه إلى الوراء. لخلاصك إنتظرت يارب. جاد يزحمه جيش. ولكنه يزحم مؤخره. أشير خبزه سمين وهو يعطى لذات ملوك. نفتالى أيلة مسيبة يعطى أقوالاً حسنة) .

تك ٤٩ (١-٣٣)

ما أجمل أن يبارك الأب أولاده بجمعهم على فراش موته لأنبئهم بما يصيبهم فى آخر الأيام .. بدأ يعقوب أب الأباء بالبركات لأولادهم .. وبدأ بالبكر حسب البكورية والصغير حسب سنه.

بركة الأسباط هذه أيها القارئ العزيز تحمل داخلها قصصاً وقصصاً كل واحد منهم له مواقفه مع أبيه يعقوب، الخيرة والسيئة، التى تحمل مشاعر، والتى لا تحمل أى مشاعر.

بدأ بالغضب من إبنه رأوبين البكر الذى إضطجع مع بلهة سرية أبيه. فهذه الحادثة ألمت جداً بأبينا يعقوب فتذكرها فى مباركة إبنه رأوبين وهكذا بدأ بالإخوة واحداً فواحداً ولكن سنتوقف هنا عند بركة بطل قصتنا الشهير صفنات فعنيح منقذ العالم يوسف الصديق.

(يوسف غصن شجرة مثمرة غصن شجرة مثمرة على عين. أغصان قد إرتفعت فوق حائط. فمررته ورمته واضطهدته أرباب السهام. ولكن ثبتت بمتانة قوسه وتشددت سواعد يديه. من يدى عزيز يعقوب من هناك من الراعى صخر إسرائيل. من إله أبيك الذى يعينك ومن القادر على كل شئ الذى يباركك تأتى بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت. بركات الثديين والرحم. بركات أبيك فاقت على بركات أبوى. إلى منية الآكام الدهرية تكون على رأس يوسف وعلى قمة نذير إخوته. بنيامين ذئب يفترس فى الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يُقسم نهباً).

تك ٤٩ (٢٢-٢٧)

لا توجد بركة أعظم من بركة يعقوب ليوسف الصديق .. الإبن الحبيب باركه يعقوب بكل ما أتى من قوة وبركة، وهذه البركة تحكى قصة حياة يوسف وما قابله فى حياته.

قال يعقوب: "يوسف غصن شجرة مثمرة" وكررها مرة أخرى: "غصن شجرة مثمرة على عين أغصان قد إرتفعت فوق حائط" أى سيكبر يوسف وترفع أغصانه فوق حائط. وأظن أن هذا الحائط الذى إرتفع يوسف عليه وظلله هى مصر العزيزة.. وذكر أيضاً يعقوب بحسه النبوى إضطهاد إخوته له الذين هم أرباب السهام ولكنه ثبتت بمتانة قوسه وتشددت سواعد يديه من يدى حبيباً وعزيز يعقوب والمحبوب إلى قلبه من الراعى صخر إسرائيل من إله أبيك الذى

يعينك ومن القادر على كل شئ الذى يباركك، تأتى عليك بركات السماء من فوق.

وذكر أيضاً يعقوب بركات الثديين والرحم أى بركات الذرية والنسل والإنجاب، " بركات أبيك فاقت بركات أبوى " أى البركات التى منحتك إياها فاقت البركات التى حصلت عليها من أبوى إلى منية الأكام الدهرية تكون على رأس يوسف وعلى قمة نذير إخوته.

وأكثر يعقوب البركات ليوسف حتى وضعه على قمة إخوته ونذيرهم حرقاً. يستحق يوسف هذه البركات، فهو الإنسان العفيف الطاهر والعبد المطيع والسجين الخاضع والإقتصادى المحنك ورئيس الوزراء المحبوب من الجميع.

بركات يعقوب ليوسف فاقت بركات الجميع .. وذكر هنا بنيامين لاحقاً ليوسف كلاً حسب بكوريته وفى مكانته ما أجمل يعقوب فى بركته النبوية.

❈❈❈

(جميع هؤلاء هم أسباط إسرائيل الإثنا عشر. وهذا ما كلمهم به أبوهم وباركهم كل واحد حسب بركته باركهم. وأوصاهم وقال لهم أنا أنضم إلى قومى. إدفنونى عند آبائى فى المغارة التى فى حقل عفرون الحثى. فى المغارة التى فى حقل المكفيلة التى أمام ممرا فى أرض كنعان التى إشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون الحثى ملك قبر. هناك دفنوا إبراهيم وسارة إمرأته. هناك دفنوا إسحق ورفقة إمرأته. وهناك دفنت ليئة.

شراء الحقل والمغارة التى فيه كان من بنى حث. ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه ضم رجليه إلى السرير وأسلم الروح وإنضم إلى قومه).

تك ٤٩ (٢٨-٣٣)

هؤلاء هم الأسباط ببركاهم، وأوصاهم يعقوب أن يدفنوه فى مغارة المكفيلة التى إشتراها إبراهيم جده من عفرون الحثى ملك قبر ودفنوا فيها إبراهيم مع سارة وإسحق مع رفقة وهناك دفنت ليئة إمرأته .. ذلك الحقل الذى إشتراه مع المغارة من بنى حث. ولما إطمئن يعقوب على بنيه وعلى إحساسات يوسف من جهتهم وأوصاهم أن يدفنوه مع أبائه ضم رجليه أى نام وتمدد على سريره وأسلم الروح وإنضم إلى قومه وسار فى طريق الأرض كلها.

❈❈❈

(فوقع يوسف على وجه أبيه وبكى عليه وقبله. وأمر يوسف عبيده الأطباء أن تحنطوا أباه. فحنط الأطباء إسرائيل. وكمل له أربعون يوماً. لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين. وبكى عليه المصريون سبعين يوماً. وبعدما مضت ايام بكائه كلم يوسف بيت فرعون قائلاً إن كنت قد وجدت نعمة فى عيونكم فتكلموا فى مسامع فرعون قائلين. أبى إستحلفنى قائلاً ها أنا أموت. فى قبرى الذى حفرت لنفسى فى أرض كنعان هناك تدفننى. فالآن أصعد لأدفن أبى وأرجع. فقال فرعون أصعد وأدفن أباك كما إستحلفك).

تك ٥٠ (١-٦)

حين رأى يوسف أن يعقوب أباه قد مات إنهار وبكى عليه كـــثيراً فـــأمر عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه يعقوب فحنطوه وكمل له أربعون يوماً لأنه هكذا يكمل أيام المحنطين..

المصرى القديم حينما يموت تفرغ أحشاؤه ويملئ جوفه بالملح وتستعد الجثة للتحنيط الذى يحفظها دون أن تفسد أو يصيبها ضرر.. وهـــذه العمليـــة أى عملية التحنيط تستغرق ٤٠ يوماً كاملة ولكن مدة بكاء المصريين على يعقوب كانت ٧٠ يوماً من شدة حزنهم أو من شدة حزن يوسف عليه، فيوسف هـــو حافظ الحياة لهم ومنقذهم من الموت فكلم يوسف وزراءه أن يطلبوا من فرعون أن يذهب ليدفن أباه فى أرض كنعان كما أستحلفه أبوه ولكن لماذا لم يطلـــب يوسف من فرعون مباشرة ؟! ذلك لأنه لا ينبغى أن يدخل أحد إلى الفرعـــون وهو فى حالة حزن.. هكذا كانت التقاليد المصرية وبروتوكول الرؤساء وطبعاً وافق الفرعون العظيم لأن يوسف لا يُرد له طلب مهما كان...

❋❋❋

(فصعد يوسف ليدفن أباه وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر. وكل بيت يوسف وإخوته وبيت أبيه. غير أنهم تركوا أولادهم وغنمهم وبقرهم في أرض جاسان. وصعد معه مركبات وفرسان فكان الجيش كثيراً جداً. فأتوا إلى بيدر أطاد الذى فى عبر الأردن وناحوا هناك نوحاً عظيماً وشديداً جداً. وصنع لأبيه مناحة سبعة أيام. فلما رأى أهل البلاد الكنعانيون المناحة فى بيدر أطاد

قالوا هذه مناحة ثقيلة للمصريين. لذلك دعى إسمه أبل مصرايم. الذى فى عبر الأردن. وفعل له بنوه هكذا كما أوصاهم. حمله بنوه إلى أرض كنعان ودفنوه فى مغارة حقل المكفيلة التى إشتراها إبراهيم مع الحقل ملك قبر من عفرون الحثى أمام ممرا).

تك ٥٠ (٧-١٣)

قامت الدنيا فى مصر حزناً على إسرائيل أبو الأسباط. ومن ثم صعد معه جميع عبيد فرعون وشيوخ بيته، وجميع شيوخ أرض مصر، يعنى أن مصر كلها خرجت وراء يعقوب حزناً عليه، أعاظم القوم وحكماء مصر، وطبعاً مجاملة لرئيسهم يوسف الصديق. صفنات فعنيح

وصعدت معهم أيضاً مركبات وفرسان، فكان الجيش كثيراً جداً فلما أتوا إلى بيدر أطاد ومن شدة حزنهم على يعقوب قال أهل كنعان: " هذه مناحة ثقيلة للمصريين" لذلك دعى إسمه " أيل مصرايم " بمعنى " مناحة المصريين " إلى أن وصلوا إلى أرض كنعان ودفنوه فى مغارة حقل المكفيلة التى إشتراها إبراهيم أب الأباء دفنوه ويوسف واقف بين عظماء مصر يشاهد مراسم دفن أبو الأسباط يعقوب. وعينى يوسف تذرف الدموع السخينة على موت أعز الأشخاص إلى قلبه، فأصبح يوسف الآن يتيم الأب ويتيم الأم، أصبح وحيداً فى هذه الحياة لم

يوجد فى حياته سوى أخيه بنيامين الصغير، وأولاده وبالطبع زوجته أسنات.

ونحن هنا على مشارف نهاية قصتنا الجميلة فلم يبقى فى ساحة القصة هذه سوى يوسف وإخوته والمشهد الأخير.

دفن الأبناء أبيهم ولكن ذهنهم شارد فى أمر أخر بعيداً عن أفكار الآخرين، وأظنكم تعرفونه؟!

وهو يا ترى ماذا سيصنع بنا يوسف بعد أن دفنا الذى كان يحترمه ويبجله ويحمينا منه ويعمل له ألف حساب؟!.. دفنوه وأظن أغلب الظن أنه أثناء دفنهم ليعقوب أبيه كانوا يختلسون النظر إلى يوسف ليقرأوا ما بداخله تجاههم.

❊❊❊

(ثم رجع يوسف إلى مصر هو وإخوته وجميع الذين صعدوا معه لدفن أبيه بعدما دفن أباه. ولما رأى إخوة يوسف أن أباهم قد مات قالوا لعل يوسف يضطهدنا ويرد علينا جميع الشر الذى صنعنا به. فأوصوا إلى يوسف قائلين أبوك أوصى قبل موته قائلاً. هكذا تقولون ليوسف آه أصفح عن ذنب إخوتك وخطيتهم فإنهم صنعوا بك شراً. فالآن إصفح عن ذنب عبيد إله أبيك. فبكى يوسف حين كلموه. وأتى إخوته أيضاً ووقعوا أمامه وقالوا ها نحن عبيدك. فقال لهم يوسف لا تخافوا لأنه هل أنا مكان الله. أنتم قصدتم لى شراً. أما الله فقصد به خيراً لكى يفعل كما اليوم. ليحيى شعباً كثيراً. فالآن لا تخافوا. أنا أعولكم وأولادكم. فعزاهم وطيب قلوبهم).

تك ٥٠ (١٤-٢١)

رجع يوسف مع هذا الجيش الكثير من شيوخ مصر وحكمائها وإخوته إلى أرض مصر ولكن بدون يعقوب الذى دُفن فى مغارة المكفيلة ووجد الإخوة ويوسف وجهاً لوجه .. رأى الإخوة أن الأب إسرائيل قد مات وقالوا فيما بينهم لعل يوسف يضطهدنا ويرد علينا جميع الشر الذى صنعنا به ولكن يوسف يختلف عن أى شخصية أخرى فكلموا يوسف قائلين: "أبوك أوصى قبل موته قائلاً، هكذا تقولون ليوسف آه إصفح عن ذنب إخوتك وخطيتهم فإنهم صنعوا بك شراً فالآن إصفح عن ذنب عبيد إله أبيك".

هكذا كان حديث الإخوة ليوسف أخيهم، ولسنا نعلم إن كان يعقوب أباهم قد أوصاهم أم قد إختلقوه من خوفهم من يوسف!!

المهم قابل يوسف هذا الحديث الذى يدل عن عدم إطمئنان منهم تجاه يوسف.

قابل يوسف هذا الحديث بدموع، هكذا الإنسان الرقيق المشاعر المحب للجميع يقول الكتاب المقدس هنا "فبكى يوسف حين كلموه" وأظن إنها دموع من أجل عدم معرفتهم بيوسف لأنهم ظنوه المنتقم الذى سوف ينال منهم جميعاً من أجل فعلتهم به ولكن يوسف ليس هكذا.. فبكى يوسف حين كلموه.. ما أجمل مشاعرك يا صفنات فعنيح!!.. لم يكن يعلموا أن يوسف يخطط لشئ مختلف عما فى أذهانهم.. يخطط لحياتهم فى مصر. ولأجل أن يعولهم. وأتى إخوته أيضاً ووقعوا أمامه وقالوا: "ها نحن عبيدك"!!

ما أقسى الخضوع فى ذل وخوف وليس فى محبة وقال لهم يوسف: "لا تخافوا هل أنا مكان الله؟!"

ما أعظمك يا يوسف فى عدم إدانتك للآخرين بالرغم مـــن خطـــئهم فى حقه.. "هل أنا مكان الله". أخذ الحقوق هى وظيفة الله لذلك قال يوسف: "هل أنا مكان الله أنتم قصدتم لى شراً أما الله فقصد به خيراً" بمعنى أن لله خططاً غير خطط البشر، أنتم قصدتم لى شراً وهذه حقيقة ولكن الله دائماً يحول الأمور الشريرة دائماً إلى خير أولاده المتكلين عليه، الذى لا سند لهم فى حيـــاقم، عبيـــد الله وهكذا الحال مع يوسف الصديق، هم قصدوا شراً والله قصد به خيراً، لكـــى يفعل اليوم ليحيى شعباً كثيراً من الجوع والتشرد والموت والهلاك.

أنظروا كيف هى خطط الله المحكمة.. فـــالآن لا تخـــافوا أنـــا أعـــولكم وأولادكم، "فعذاهم وطيب قلوبهم"، جميلة هى كلمة عذاهم وطيب قلوبهم وبدل الخوف إلى إطمئنان والحزن إلى تعزية والشر إلى خير لهم ولأولادهم.

"وأخذهم يوسف فى حضنه الكبير الذى ضم إحدى عشر رجلاً دفعة واحدة" هكذا هم الكبار فى عطفهم وتسامحهم.

هذه هى شيمة الكبار وكرمهم وصفحهم، هذه المشاعر والأحاســـيس لا تخرج إلا من شخصية مثل شخصية يوسف الذى خرجت علينا مبكراً علـــى صفحات التاريخ، فالله يريد أن يرينا كيف تكون القدوة والتسامح والنفـــسية القوية التى تحتمل الصدمات والصعاب وتمسح الدموع من عيون الآخرين.

ولست أظن أن التاريخ سوف يجدد بشخصية مثل شخصية بطل قـــصتنا يوسف الصديق، آمن يوسف حياقم وحياة أولادهم ومعيشتهم فى أرض مصر وأرض غربتهم.

❋❋❋

(وسكن يوسف في مصر هو وبيت أبيه. وعاش يوسف مئة وعشر سنين ورأى يوسف لأفرايم أولاد الجيل الثالث. وأولاد ماكير بن منسى أيضاً ولدوا على ركبتي يوسف وقال يوسف لإخوته أنا أموت ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحق ويعقوب. واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلاً الله سيفتقدكم. فتصعدون عظامي من هنا. ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين. فحنطوه ووضع في تابوت في مصر).

تك ٥٠ (٢٢-٢٦)

نحن هنا على مشارف نهاية قصتنا الجميلة التى كنا نتمنى أن لا تنتهى ولكن هذه هى طبيعة الحياة والأشياء. بداية ونهاية.

فهذه القصة هى من أجمل قصص الكتاب المقدس، فقصة يوسف الصديق هى تقريباً نصف سفر التكوين أول أسفار الكتاب المقدس.

سكن يوسف فى مصر هو وبيت أبيه وذكر الكتاب المقدس هنا عمر يوسف الصديق أقصد صفنات فعنيح وهو ١١٠ سنة، قضى يوسف ١٧ سنة فى بيت أبيه يعقوب فى أرض كنعان، وحوالى إحدى عشر سنة فى بيت فوطيفار، وسنتين فى السجن، ووقف أمام الفرعون العظيم وعمره ٣٠ سنة، وقضى يوسف الصديق فى الحكم ثمانين عام كرئيس لوزراء مصر..

تخيلوا أن يوسف ظل محتفظاً بالمنصب الكبير طيلة ٨٠ سنة!! فعلاً صدق الكتاب المقدس حين قال: "وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً" ومهما صنع كان الرب ينجحه بيده.

وأظن أغلب الظن أن يوسف الصديق صفنات فعنيح كان أكثر الرؤساء جلوساً على كرسيه فى تاريخ مصر القديم والحديث، والغريب أنه كان عبرانياً ورأى يوسف لأفرايم إبنه أولاد الجيل الثالث بمعنى أن يوسف رأى بنى بنى بنيه

وقال يوسف لإخوته: "أنا أموت" وهنا أريد أن ألفت نظركم إلى صفة جديدة ظهرت فى يوسف وهى يوسف النبى فيوسف تنبأ أن الله سيفتقد شعبه ويصعدهم إلى الأرض التى حلف لإبراهيم وإسحق ويعقوب وتنبأ بخروج بنى إسرائيل من أرض مصر وإستحلف يوسف بنى إسرائيل قائلاً: "الله سيفتقدكم فتصعدون عظامى من هنا".. لماذا يا يوسف ؟! أتريد أن تغادر مصر بعد أن قضيت أكثر من ٨٠ سنة فى الرئاسة؟! إلى أين تريد أن تذهب وتغادر مصر؟!

أريد أن أذهب مع أبائى وبيت أبى، إلى الأرض التى حلف لإبراهيم وإسحق ويعقوب أبى، أريد أن أكون بجوار شعبى، لا تهمنى الرئاسة ولا المسلات ولا البرديات ولا حفظ التاريخ، أريد أن أكون مع أبائى وننتظر معاً وعود الله لنا.. سوف إنتظرها معهم ولو بعظامى فى تابوت.. ثم مات يوسف وهو إبن مئة وعشر سنة فحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر.

إنتهت حياة يوسف أى صفنات فعنيح فى مصر بأن وضع فى تابوت فى مصر..

بما أن يوسف قد حفظ الحياة للعالم ولمصر حفظت مصر يوسف فحنطوه أى حفظوه والغريب أن سفر التكوين مادة البحث قد بدأت: "فى البدء خلق الله" وإنتهى: "بتابوت فى مصر" أى إنتهى بالموت!!

وكأن سفر التكوين هو سيناريو للعالم من بداية ونهاية، وعند خروج بنو إسرائيل من أرض مصر بعد مشاكل وضربات كثيرة لم ينسى بنى إسرائيل أن يأخذوا عظام يوسف معهم بالرغم من كربهم وسرعتهم وخروجهم الصعب من

أرض مصر أرسلوا وفد للفرعون بأن يأخذوا عظام يوسف معهم كوصيته فسمح لهم الفرعون بأن يأخذوا معهم يوسف، فأخذوا معهم يوسف وغادر أخيراً يوسف أقصد صفنات فعنيح مصر محمولاً على جمال كما ذهب إلى مصر محمولاً على الجمال، أيضاً غادر مصر أخيراً مع أبنائه بعد أن حفظ مصر والعالم من الموت جوعاً بفضل حكمته وقدرة تدبيره!!

غادر يوسف مصر بعد أن ترك بصمة كبيرة فى حياة المصريين وحياة وتاريخ مصر القديم!!

تركها يوسف بعد أن أدى أعظم مهمة ممكن أن تسند لإنسان .. مات يوسف بعدما أثر فى مصر وفى تاريخها وكأنه حفر فى جدران مصر بإصبعه تاريخاً جديداً بفضل إنسان سكن فيه روح الله.

❈❈❈

أوجه الشبه بين يوسف الصديق والسيد المسيح

يوسف الصديق	السيد المسيح
• لقد رُفض يوسف من إخوته	• ورُفض المسيح من اليهود إخوته حسب الجسد
• بيع يوسف بعشرين من الفضة للإسماعيليين	• وبيع المسيح بثلاثين من الفضة من يهوذا ثم سُلم للأمم
• طُرح يوسف فى السجن	• واضطجع المسيح فى القبر

• استطاع يوسف فى السجن أن يبشر ببشارة الخلاص إلى رئيس السقاة	• ونزل المسيح إلى الجحيم وبشر بالإنجيل للأرواح المنتظرة هناك
• الساقي والخباز فى حياة يوسف	• يشبهان اللصان والمسيح وسطهما
• يوسف كان يهودى المولد ورفض من إخوته إلا أنه رُفع إلى أسمى مركز فى مملكة وثنية وخلص ربوات من بنيها من الموت	• ويسوع المسيح مع أنه يهودى المولد ورفض أيضاً من اليهود إلا أنه إرتفع إلى عرش القوة وهو الآن متوج فى قلوب ربوات من الأمم الذين أتى إليهم بخلاص من الموت وبخبز روحي لجوعهم
• أطلق على يوسف لقب مخلص العالم	• وهذا هو لقب مخلصنا المسيح

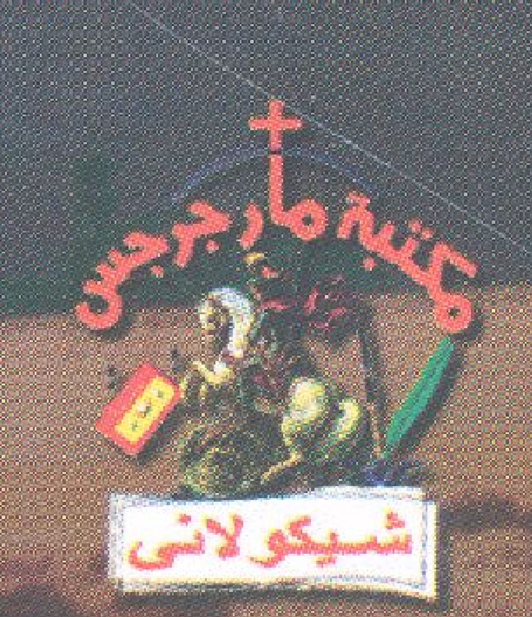
نعم ويجب أن تتمشى أوجه الشبه إلى مدى أبعد فإن يوسف بعد أن ظل بعض الوقت يحكم مصر ويباركها أتى إليه إخوته الحقيقيون طالبين الصفح والمعونة هكذا سوف تأتى الأيام قريباً حيث يهرع اليهود إلى المسيح.

والآن نتأمل فى المسيح جالساً على عرشه مفسراً إرادة أبيه على رأسه أكاليل كثيرة وفى إصبعه خاتم السلطان والعظمة وعلى حقويه منطقة القوة مرتدياً ثياب النور وهذا هو النداء الذى يتقدمه " أجثوا له ".

الفهرس







مكتبة مار جرجس
١٧ ش شيكولانى شبرا مصر
ت : ٢٢٠٢٣٢٤٣